٢٧٨

HARLEQUIN

روايات احلام

لا أحد يريد الحب

ساندرا فيلد

www.elromancia.com
رومانسية

لا أحد يريد الحب

- والآن يا آنسة كورتني ، نعم أم لا ؟

- دعني أفهم الأمر ... أنت تريدني برفقتك لمدة أسبوع! وتفحصته لورين بنظراتها من فوق إلى تحت ،من ربطة عنقه الحريرية إلي بذلته الغالية الثمن:

- مع أنك لست نموذج الرجل الذي أحب مرافقته ، إلا أنك رجل تتمنى الكثيرات من النساء مرافقته لأمواله إذا لم يكن لشخصيته ... لهذا أتساءل عما جعلك تختارني أنا بالذات لأنقذك .

سيطر عليها الغضب عندما قهقه ضاحكاً وقال :

- لسانك لاذع كالأسيد .

- وهذا سبب آخر يدفعك إلى تجنبي .

- آه ! أستطيع أن أتحمل .

... ولكن هل تستطيع هي أن تتحمل ؟ وإلى متى ؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٦ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-126-1

ساندرا فيلد

ولدت ساندرا فيلد في انكترا لكنها عاشت معظم حياتها في كندا. وهي تقول إن صمت الشمال وفراغه يضجّ بالكلمات والصور. ورغم أن ساندرا تعشق السفر ويحلو لها أن تنقل للآخرين الأحاسيس والانفعالات التي تنتابها عندما تتعرّف إلى مكان جديد، فهي تختار دائما أن تكتب عن مدينة هي الآن ديارها. تقول ساندرا: «إنني أكتب من وحي تجربتي. وتجربتي هذه علمتني أن الحب، بما يعتريه في حزن وبلّفه من أفراح، هو أهم ما في الدنيا. وإني لأتمنى أن تغني هذه المعرفة كتاباتي وتلامس أوتاراً حسّاسة فيك، أيها القارىء».

١ ـ العرض والطلب

خلف ذلك الباب، يوجد العدو.

جذبت «لورين كورتني» نفساً عميقاً، ثم أخذت تسوّي تنورتها براحتيها. العدو، الرجل الذي يملك إثباتات.. إثباتات مزيفة كلياً... لجريمة احتيال يزعم أن زوج أمها الحبيب قد اقترفها. «والاس هارڤارسن» كاذب؟ مخادع؟ أسهل على لورين أن تصدق أن الشمس تشرق من الغرب على أن تصدق ذلك.

لكن «ريس كالاهان» صاحب شركة الاتصالات الكبرى في «ڤانكوڤر»، يعتقد أن الشمس تشرق من الغرب وهكذا كان على لورين أن تصحح فكرته هذه، كي تحمي سمعة والاس الذي هو الآن ميت ولا يستطيع الدفاع عن نفسه.

استقامت لورين في وقفتها، ملقية نظرة خاطفة على صورتها المنعكسة في زجاج النافذة المستطيلة التي تطل على «الخليج الانكليزي» من الطابق السابع. كان شعرها الكستنائي ممشطاً إلى الخلف كاشفاً عن رقبتها، وبذلتها الرمادية ذات التصميم الخاص مؤلفة من تنورة مشقوقة من الخلف وبلوزة بيضاء. وكان حذاؤها الخفيف مصنوعاً من الجلد الإيطالي، وتتحلى بحلى فضية وتضع كحلاً في عينيها بشكل مسرحي. لم تكن، في الظروف العادية، تحب الملابس الرمادية الداكنة، فهي تفضل الألوان الواضحة. لكنها قررت أن تبدو أنيقة رابطة الجأش أثناء هذه المقابلة.

www.elromancia.com

فتحت موظفة الاستقبال الباب وقالت بأدب: «يا سيد كالاهان. الآنسة لورين كورتني هنا لتقابلك».

ما إن دخلت لورين وانغلق الباب خلفها، حتى وقف ريس كالاهان ودار حول مكتبه الضخم، مادّاً يده لها قائلاً: «هذا سرور كبير لي، يا آنسة كورتني. عند افتتاح معرضك الفني في مانهاتن السنة الماضية اشتريت اثنتين من منحوتاتك ولكنني وصلت متأخراً لسوء الحظ ففاتتني مقابلتك».

رغم أن قبضته على يدها كانت قوية، إلا أن ابتسامته كانت مجرد حركة خفيفة من شفتيه. أما عيناه الزرقاوان فلم تظهرا لمحة واحدة من الرقّة. كان وجهه كأنما نُحت من الصخر ففكه صلب وذقنه مشقوق ووجنتاه عاليتان متغطرستان... شعرت لورين على الفور باللهفة لأن تنحتهما، وكان شعره الكث ذا لون بني أشد دكنة من شعرها، فبدا لها بلون مكتبه، بريقاً ونعومة.

أما جسمه، حسناً! إنها تحب أن تنحته هو أيضاً. ولكنه ليس بالرجل الذي يستجيب إلى مناشدة رقته وعطفه، مع أن مناشدته العطف هو السلاح الوحيد الذي تملك. كما أنه كان أطول منها بعدة إنشات وهي التي يبلغ طولها مئة واثنين وسبعين سنتمتراً... رفعت بصرها إلى محدّثها شاعرة بصغر الحجم وهذا لم يعجبها. استجمعت شجاعتها، مدركة أنه عدوّها، ثم سحبت يدها من قبضته وهي تقول ببرودة: «أرجو أن تكون مستمتعاً بالقطعتين اللتين اشتريتهما».

ـ مادة صنعهما تدوم طويلاً، وأنا أحب دوماً الأعمال البرونزية. وأعمالك ممتازة بشكل خاص.

سرّها ذلك رغم أنها كانت، بسؤالها، تصطاد المديح: «شكراً لك».

ـ يسرّني دوماً أن ينجح استثماري. فقد ارتفع ثمنهما الآن في السوق.

فتلاشت ابتسامتها: «هل لهذا اشتريتهما؟ للاستثمار؟».

ـ ولماذا إذن؟.

ـ أليس لأنهما لامستا مشاعرك؟.

ضحكته القصيرة لم تحمل أثراً من التسلية وهو يقول: «لست بالرجل الذي تظنين».

قالها بملء فمه، وبناء على الدقيقتين الأخيرتين، تأكدت من أن ريس كالاهان ليس لديه مشاعر. ولكن، سواء لم يكن الرجل الذي تظنه أم كانه، فإن مصلحتها معه الآن. وقالت له بأدب وهي تجاهد لتمالك نفسها: «هل يمكن أن أجلس؟».

ـ بكل تأكيد. هل تريدين قهوة؟.

جلست برشاقة على كرسي وهي تقول: «لا، شكراً. آسفة لأنني حصلت على هذه المقابلة بادعاء زائف، يا سيد كالاهان. ليست زيارتي هذه للحديث عن عملي».

ـ أنت تدهشينني، ظننتك تريدين الحديث بشأن تعامل ما بيننا.

طرفت بعينيها وقالت: «لم أفعل هذا قط من قبل، ولا أرى سبباً للبدء معك بالذات».

ـ ما أروع أخلاقك العالية!.

لم يكن ضمن خطتها أن تفقد أعصابها قبل أن تطرق موضوع زيارتها فقالت بابتسامة تماثل ابتسامته جفاء: «ما كنت لتفكر في استثمار نقودك في قطعتين من صنعي لو لم تعتبرني موهوبة. حتى في أسوأ الأوقات، لم أسمح لنزوات الأغنياء بأن تملي عليّ إبداعاتي».

ـ لماذا أنت هنا إذن، يا آنسة كورتني؟ قد تكون للأغنياء نزوات، لكن لديهم أيضاً شعوراً بالمسؤولية كما أنني مشغول كثيراً هذا النهار وأريد منك الدخول في الموضوع.

لأنه كان متكئاً على جانب مكتبه، اضطرت إلى رفع بصرها إليه وهذا ما جعلها تفكر في أنها أخطأت بالجلوس.

وقالت بهدوء: «لقد سمعت إشاعة.. وهي تثير الاشمئزاز للغاية. وأنا واثقة من أنك ستطمئنني إلى أنها مجرد إشاعة. وعلى كل حال، سأخرج من مكتبك خلال ثلاث ثوانٍ».

قال باهتمام بالغ: «لدي أعمال أكثر أهمية من نشر الإشاعات».

ـ سمعت بأنك على وشك أن تنشر إثباتاً عن احتيال «والاس هارڤارسن».

فرفع حاجبه: «آه... إنها إذن ليست إشاعة».

غرزت أظافرها في جلد حقيبة يدها وقالت: «لا يمكن أن يكون لديك إثبات كهذا».

ـ لماذا تقولين هذا؟.

ـ لأنه كان زوج أمي، ومن غير المعقول أبداً أن يكون محتالاً... أعرفه.

ـ هذا يدل على ضعف ملاحظتك أكثر مما يدل على حسن أخلاق والاس هارڤارسن... ومن الواضح أنك نحّاتة أفضل منك حكماً على الأخلاق.

فقالت: «كنت أعرفه جيداً جداً!».

ـ لكنك لم تغيري اسم أسرتك باسم أسرته.

فقالت متوترة: «لقد كان الزوج الثاني لأمي. وكان أبي قد مات وأنا في الثالثة ومع أنها طلقت والاس عندما كنت في الثانية عشرة. فقد بقينا، أنا وهو، على اتصال على مرّ السنين. وهو الآن ميت لذا لن يستطيع أن يدافع عن نفسه أمام هذه التهمة السخيفة. ولهذا أنا هنا، للقيام بهذه المهمة مكانه».

ـ وما هو شكل هذا الدفاع؟.

مالت إلى الأمام وقالت بمشاعر محمومة: «معرفتي الخاصة به كإنسان، دامت تسعة عشر عاماً. ويمكنني أن أخبرك بأن من المستحيل أن يكون قد كذب أو احتال أو سرق نقوداً».

ـ يا عزيزتي الآنسة كورتني، هذا جواب مؤثر للغاية. ولا شك أن الدموع ستقويه. ولكن سواء أكانت هناك دموع أم لا، فلا أهمية لهذا الجواب في المحكمة. وأنا سأنشر الإثبات القانوني باحتيال والاس هارڤارسن في الأسبوع القادم، وبهذا أبرّىء سمعة إحدى شركاتي. فأنا لا أطيق أن أبدو

في دنيا الأعمال ناقص النزاهة. وهذا ما أورثنيه زوج أمك.

فهمست بذعر: «تنشره؟ أنت لا تعني ذلك بالتأكيد!».

ـ بل أعني كل كلمة. إذا كان هذا كل ما تريدين أن تقوليه فلننه المقابلة.

وقفت لورين بسرعة ورشاقة وهي تقول: «إذا كنت ستنشر هذا الكذب الصريح عن زوج أمي، فسأقاضيك بتهمة القذف والتشهير».

ـ أرجوك ألا تفعلي لأنهم سيضحكون عليك في المحكمة. ثم، هل لديك فكرة عما سيكلفك هذا؟.

ـ وهل كل شيء يُحسب بالمال لديك؟.

ـ في هذه الحالة، نعم. لقد استنزف والاس هارڤاسن نصف مليون دولار من شركتي.

ـ ما هي الحقيقة يا سيد كالاهان؟ أتراك أقدمت على صفقة تجارية أسأت تقديرها فكلفتك نصف مليون، فرحْت الآن تبحث عن كبش الفداء؟.

قال بصوت كالفولاذ: «إن قلت هذا أمام الناس فسأكون أنا الذي سأقاضيك. ستخرج معك السكرتيرة من هنا».

ـ لن أخرج حتى تعدني بأنك لن تجرجر اسم زوج أمي في الأوحال خدمة لأغراضك.

انتصب واقفاً ثم تقدم خطوة نحوها وقال: «أنت حقود حقاً، يا آنسة كورتني. لقد علمت بالصدفة أنك اشتريت الاستوديو بما ورثته عن زوج أمك، وأنك ما زلت صاحبة ملك صغير جميل جداً على ساحل «مين» وهو أحد أملاكه».

تحرك ذهنها بسرعة: «إذن كنت تعلم طوال الوقت أنني ابنة والاس بالتبني؟».

ـ أنا أقوم دوماً بالبحث حيث أستثمر أموالي. ذلك يفيدني في أعمالي وتقدمها.

ـ كنت تستدرجني إذن منذ حضوري... يا للحقارة!.

ـ هذه الصفة تنطبق عليك أكثر منها عليّ. فأنت تقبلين أن تعيشي من ربح الاحتيال. إن هذا أسوأ من أن يعيش نحات يكاد يموت جوعاً في غرفة حقيرة فوق السطوح كما هي العادة، أتتقبلين ذلك حتى لو مسّ هذا كرامتك الفنية؟

قالت بحدة وقد شحب وجهها غضباً: «كرامتي ليست هي الموضوع هنا... ماذا عن كرامتك؟ ألا تشعر بذرة من تأنيب الضمير وأنت تلطخ سمعة رجل ميت في الوقت الذي تعلم تماماً أن ليس بإمكاني أن أستأجر نوع المحامين الذي بإمكانك أن تستأجره؟».

قال بصوت غريب وعيناه مسمرتان على وجهها: «أنت تؤمنين حقاً بأنه بريء، أليس كذلك؟».

ـ طبعاً أؤمن بذلك! أتظن أنني أضيّع وقتي ووقتك، لو شككت لحظة واحدة بأن والاس قام بأي نوع من الاحتيال.

ـ إذن فأنا آسف لأنك مقبلة على خيبة أمل.. والآن، أنا مضطر أن أطلب منك الخروج لأن لديّ موعداً بعد عشر دقائق.

ابتلعت لورين كبرياءها، وقالت على كره منها، عالمة أن ليس لديها خياراً آخر:

ـ هل هناك شيء يمكنني عمله لكي أجعلك تغيّر رأيك؟.

ـ لا شيء أبداً.

ـ لا بد أن هناك شيئاً ما...

قال وعيناه كالمخرزين: «يدهشني، بالنسبة إلى سمعتك أنك لم تعرضي ما هو واضح».

احمر وجهها: «أتعني سمعتي الأخلاقية؟».

ـ بالضبط.

انقضبت يداها إلى جانبيها بشدة حتى ابيضت سلاميات أصابعها. وقالت:

ـ إذن فقد بحثت في هذا الأمر أيضاً. وكغيرك من الناس صدّقت عني

تلك الأكاذيب التي يغذي بها مستشاري المخلص ساندرو أصدقاءه الصحافيين. ومع ذلك، تزعم أنك لا تصدق الأقاويل.

ـ مستشارك محترم جداً.

ـ بينما أنا مجرّد مدعية مغرورة، لديها شكل تعشقه الصحافة. هل تتساءل لماذا أتضرّع إليك بألا تنشر هذه الأكاذيب عن والاس؟ لأنني أعرف قوة الصحافة في تحطيم السمعة... أعرفها وأخافها وقد عانيت منها.

ـ عندما زرت معرضك الفني السنة الماضية، رأيتك خارجة من باب آخر متأبطة ذراعي رجلين، فتملكني الشك في أن سمعتك السيئة أخلاقياً هي مجرد أقاويل من وضع عاشق سابق حقود.

تقوست كتفاها وقالت بصوت خافت: «لم أحضر إلى هنا لكي أدافع عن نفسي، كما أنني لم أحضر لأقول إنني سأقيم معك علاقة إذا وعدتني بعدم النشر».

ـ لماذا إذن لم تقاضي «ساندرو» حبيبك السابق، ومعلمك السابق، ومستشارك، إذا كان كاذباً؟.

فانفجرت تقول: «كان ذلك منذ أربع سنوات، وحينذاك كان كل ما بعته من أعمالي هو قطعتين فقط، ولأن لي كرامتي، يا سيد كالاهان، لم أستطع أن أطلب نقوداً من «والاس»... كنت أحياناً لا أملك بنساً واحداً. وكما تعلم، المحامون يطلبون أجوراً باهظة.

ـ هذا صحيح.

وأخذ يتأملها من أعلى إلى أسفل بشكل جعلها تجفل في داخلها. شعرت وكأن عينيه الزرقاوين الثاقبتين تخترقان أعماقها.. لكن لورين أصبحت أصلب في السنوات الماضية بسبب ساندرو. فرفعت رأسها وتنفست بشدة ولم تقل كلمة واحدة، بينما عاد يقول: «ملابسك ليست رخيصة».

ـ هنالك أماكن رائعة لبيع الملابس المستعملة في قرية «غرينيتش» وأنا أعرفها كلها.

عاد «ريس» يقول وهو يتكىء إلى مكتبه: «فهمت. ربما عليّ أن أعيد

النظر».

تملكها رجاء لا يصدّق، وقالت بلهفة: «أتعني أنك تصدقني الآن بشأن والاس؟».

ـ ليس هذا ما كنت أعنيه أبداً. ولكن هناك ما يمكنك القيام به لأجلي.

انطفأ الإشراق في وجهها وسألته: «ومقابل ذلك لن تنشر شيئاً عن زوج أمي؟».

ـ هذا صحيح.

فقالت بصوت هادىء: «لن أقيم معك علاقة، يا سيد كالاهان».

ـ أنا لم أطلب منك ذلك، يا آنسة كورتني.

أغمضت عينيها لحظة: «ماذا تريد مني إذن؟».

ـ يمكنك أن تكوني نافعة لي طوال الأسبوع التالي أو نحوه وبعد ذلك سأذهب إلى لندن والقاهرة. ولكن أثناء وجودي هنا، لديّ عدة مواعيد تمزج المتعة بالعمل، ورغم أنني لا أحب هذا، ولكن أحياناً لا يكون هناك مناص من ذلك. أنا أريد منك أن تكوني معي بصفتك مرافقتي وصديقتي... ولا أظنك تجدين هذا صعباً.

شيء في أعماقها جعلها تهتف: «لا! فأنا نحاتة ولست فتاة تحت الطلب».

ـ هل تريدين أن تحمي أباك بالتبني، أم لا؟ ماذا تختارين؟.

كان صوته صارماً دون مشاعر فهبت في وجهه:

ـ لماذا تريد الظهور مع فتاة سمعتها ليست أفضل من سمعة بنات الهوى؟.

ـ لأن أمرك يهمني.

ـ آه! هذا جميل تماماً. وكأنني أسعار البورصة.

ـ بل أنت امرأة موهوبة للغاية وفصيحة في حديثك أيضاً وأنيقة وجميلة إلى حد يكفي لخدمة هدفي. والآن ما هو خيارك؟ نعم أم لا؟.

جميلة إلى حد يكفيه؟ وتملكها غضب بالغ. فهي ليست مجرد جميلة وإنما

رائعة الجمال. كانت تعلم ذلك دون ذرة من الغرور، لأن المرآة وبقية العالم أخبروها بهذا.

ولكن سرعان ما أدركت لورين أن هذا ليس هو الموضوع. فعادت بأفكارها إلى والاس، وابتسامته السريعة وضحكته الجاهزة، وكيف كانت زياراته، رغم ندرتها، تنقذها من مراهقتها التي كانت حافلة بتعاسة حقيقية. كانت أمها مستاءة من تفتح جمالها بسرعة، أما زوج أمها الثالث فكان يهزأ بموهبتها المتفتحة. وقد تركت بيتها في الأسبوع الذي تخرجت فيه من المدرسة الثانوية، وكان والاس هو الذي حرص على ألا يدعها تموت جوعاً في غرفة فوق السطوح أثناء سنوات دراستها فن النحت مظهرة تدريجياً قواها الدفينة.

وضعفها، وساندرو خير مثال لذلك.

لم يكن هذا بالوقت المناسب للتفكير في ساندرو. وقالت بحذر:

ـ دعني أفهم جيداً. أنت تريد مني أن أظهر لمدة أسبوع أمام الناس بصفة صديقة لك.

وأخذت تتأمل بذلته الثمينة، ثم قالت: «قد لا تكون أنت مثلي الأعلى في المصاحبة المثالية، ولكن لا بد أن هناك كثيرات يتجاوزن عن شخصيتك لأجل أموالك. وبما أنني لا أصدق أن ما تعرضه علي هو نتيجة طيبة قلب منك، فإنني أعجب لماذا اخترتني أنا بالذات لكي أهبّ إلى نجدتك؟».

وثار غضبها عندما قهقه ضاحكاً: «لسانك لاذع كالأسيد».

ـ وهذا سبب آخر يجعلك تتجنبني.

ـ آه بإمكاني أن أحتملك على ما أظن.

تمنت لو تدفعه فتفقده توازنه، لكنها قالت بحلاوة مصطنعة: «أنت نسيت شيئاً. إن لك اسماً كبيراً بشركاتك المتحدة وإبداعك وأرباحك الهائلة... لا تظن أنني لم أقم بأبحاثي، أنا أيضاً. أما بالنسبة إليّ، فكان لي عرض فني ضخم في لندن السنة الماضية، وصيتي ذائع في أمريكا. فإذا ظهرنا، أنا وأنت، في المجتمع بصفتنا صديقين، فسنصبح حديث الصحافة.

وستكون هناك أقاويل يا سيد كالاهان، أقاويل جميلة وكثيرة».

فقال وهو يسير نحو الباب: «إذن، فجوابك هو، لا... لا تنسي أن تشتري صحيفة الأربعاء، وسترين فيها الجانب الجديد لزوج أمك بأجمعه. وصدقيني أنه لن يكون مبنياً على الإشاعات».

لم تستطع احتمال ذلك. هذا غير ممكن. ليس أمامها سوى الامتثال وطاعة «ريس كالاهان».

قالت ببرودة: «كنت أشير فقط إلى المآزق التي يحتويها هذا المشروع».

ـ يا لك من محبة للآخرين!

ـ عملي معك سيكون مجرد تمثيل فقط. وإذا انفردنا ببعضنا البعض فلن أسمح لك بالاقتراب مني مسافة تقل عن ثلاثة أمتار.

ـ وكأنك تفترضين أنني أريد ذلك.

قالت بصوت كالفحيح: «أخبرني بالضبط عما تريده مني».

ـ ستكونين معي في مصيفي قرب «ستانلي بارك». ويوم السبت ستذهبين معي إلى حفلة كوكتيل وعشاء، سأكون فيها أنا المضيف. أحد شركائي يعيش بوهم أن ابنته تصلح زوجة لي. ووجودك سيحرره من هذه الفكرة. ويوم الأحد هناك حفلة عشاء خاصة في منزل رجل أفكر في أخذه إلى مجلس الإدارة. ولكن لسوء الحظ، أن اهتمام زوجته موجه إليّ أكثر مما هو إلى وظيفة زوجها. وجودك سيبلغها بأنني لست في متناول اليد. وبعد ذلك بيومين سنذهب بالطائرة إلى منزلي في «ويستلر». وأنا لا أذهب إلى هناك كثيراً في مثل هذه الأيام من السنة، لكنني سأكون مشغولاً مع بعض اليابانيين الخبيرين بالملابس الخفيفة، وسيكون عليك أن تستضيفي زوجاتهم، ثم نذهب بعد ذلك إلى نادي اليخوت في الساحل الشرقي لجزيرة ڤانكوڤر حيث سأقابل زميلاً لي في سوق البضائع. وبعد ذلك نعود إلى هنا حيث يمكنك أن تذهبي في طريقك.

وسكت لحظة ثم قال: «إنها ثمانية أيام».

استيقظت في لورين روح المغامرة التي كانت خامدة. وقالت بوجه

جعلته جامداً:

ـ فهمت. لأنك غني، كثيرات من النساء يلاحقنك.

فرفع حاجبه: «يمكنك أن تسمي هذا (مخاطر المهنة)».

كادت تبتسم، شاعرة بأول وخزة من المودة له، لكنها نبذتها بشدة وهي تقول بجفاء:

ـ إذا كنت سأختار القيام بهذا، فأنا بحاجة إلى إيضاح بعض الأمور. أنا لا ألاحقك، مهما بلغ ثراؤك. أمام الناس، سأبذل جهدي لإقناعهم بأننا، أنا وأنت، مجنونان حباً، أما وحدنا فسأطلب غرفة مستقلة لأكون وحدي فيها».

ـ أؤكد لك أن لا مشكلة في ذلك.

إنه يعني بذلك أنها امرأة غير مرغوبة، ولا حرارة فيها. كبحت موجة من الغضب عنيفة بقدر ما هي غير عقلانية، ثم قالت: «أريد منك أيضاً سنداً موقعاً عليه بأنك لن تحطم اسم زوج أمي أبداً».

ـ شرط أن تنفذي شروط الاتفاقية.

رفعت إليه عينيها الفيروزيتين: «سأفعل. هذا وعد».

ـ إذن فأنت تقولين إنك قبلت الاتفاقية.

فعضت شفتها: «لن ننجح في هذا الأمر أبداً، لأن من الواضح أننا لا نتبادل أي شعور بالمودة».

ـ أنت ديبلوماسية أكثر من اللازم. بيننا كراهية متبادلة... أليس هذا الوصف أكثر دقة؟.

فقالت بحدة: «هذا صحيح. ولكن لا يبدو أن بإمكانك القيام بدورك دون إفشاء السر عن غير قصد».

فرد بحدة: «ثمانية أيام من وقتك، أم سمعة زوج أمك؟ أي شيء منهما تختارين؟».

ـ سأفعل ذلك. كنت تعلم منذ البداية أنني سأفعل.

ـ أنت ذكية بقدر ما أنت موهوبة.

قالت ساخرة: «وأنت حصلت على صفقة».

قال بجفاء: «سنرى. بالإضافة إلى اتفاقيتنا الأساسية، أريد منك أن توقّعي سنداً بأنك لن تتحدثي أبداً عن علاقتنا المفترضة هذه إلى الصحافة. تعالي إلى هذا المكتب غداً في الساعة الثالثة عصراً. وسيكون لديّ السندان للتوقيع. ويمكنك الوصول إلى بيتي الساعة العاشرة من مساء غد لأنني قبل ذلك سأكون في الخارج».

ابتسمت باستخفاف: «هذا حسن. وأرجو ألا يرهقك كل هذا التمثيل».

ـ لا أؤمن بعمل دون فائدة.

فقبضت يديها بشدة: «لا بد أن سكرتيرتك تعلم أننا لسنا صديقين وأننا تعارفنا لتوّنا هذا الصباح».

ـ أنا أدفع أجراً كبيراً لسكرتيرتي لكي تبقي فمها مقفلاً.

فقالت بحرارة: «ولماذا أدهش لهذا؟ يا سيد كالاهان، لن أقول إنه سرتني معرفتك».

ـ لا تدفعي عنك حظك. السندان لم يوقّعا بعد.

قالت بتوتر: «إذا كان والاس ينظر إلي من الجنة، أرجو أن يكون راضياً عما أفعله لأجله».

فقال وهو يفتح الباب: «الكاذبون والمحتالون لا يذهبون إلى الجنة».

كانا الآن أمام السكرتيرة بالضبط، فقالت لورين وهي ترفع رأسها وتقبله على الوجنتين.

ـ أنت إذن لن تذهب إلى هناك أيضاً. وداعاً يا عزيزي أراك غداً.

وارتدت على عقبيها وهي تبتسم للسكرتيرة: «سأخرج من المكتب وحدي».

ثم سارت نحو المصعد. وتملكها الرضاء وهي تسمع ريس كالاهان يصفق الباب بعنف أكبر مما يلزم. لقد أنجزت هذا على الأقل.

أتراها كرهت في حياتها رجلاً بقدر ما كرهت هذا الرجل؟ حتى

ادوارد، زوج أمها الثالث، كان يحب الكلام ويضحك لنكاته بصوت عال. أما «ريس» فهو لا يعرف كيف يضحك.

بارد، صلب، مناور. وهي ستقرأ السندين بحذر بالغ قبل أن توقع بإمضائها على شيء.

***

www.elromancia.com

٢ ـ نعم يا سيدي!

قالت شارلوت بوند: «وافقت على أن تفعلي ماذا؟».

قالت لورين: «أنت سمعتني.. وافقت على تمثيل دور الصديقة لريس كالاهان، إنما أمام الناس فقط، وذلك لمدة أسبوع، أو ثمانية أيام».

قالت شارلي: «لورين. لقد خرجت مع ريس مرتين، فوجدت حفرة مكان القلب فيه».

سألتها لورين: «ولماذا خرجت معه مرتين؟».

أضاءت وجه تشارلي ابتسامة أسف: «لم أستطع أن أصدق أن رجلاً لديه مثل هاتين العينين القويتين الرائعتين يمكن أن يكون ببرودة الجليد».

قالت لورين: «أنت رأيته تحدياً لك».

ـ أظن ذلك. يا لها من مزحة! رغم أننا كنا متماثلين في بعض الأشياء.

كانت تشارلي مستشارة ضرائب درجة أولى، لكن عقلها المنطقي هو فعلياً مضاد لعقل لورين، وكانت بينهما صداقة المتناقضين التي بقيت رغم انتقال تشارلي من نيويورك إلى ساحل كندا الغربي في الصيف الماضي.

قالت لورين برزانة: «ألا ترين؟ لأنه سمكة باردة، أشعر بالأمان التام معه في هذه الاتفاقية. لا خوف من أن يفقد ريس كالاهان عقله لأجلي. سنمثل أمام الناس دور حبيبين وعند انفرادنا نذهب في طريقين منفصلين».

فقالت تشارلي عابسة:

ـ المشكلة هي أنني أشعر بالمسؤولية. لو لم أذكر اسم والاس، ببراءة،

لريس، مع شركة الملابس الخفيفة التي كان والاس متورطاً معها، لما قال لي ريس أن أنتظر كشف أمور هامة جداً عن والاس. وحالما قال ذلك، انتبهت لما سيحدث وهكذا اتصلت بك تليفونياً.

فقالت لورين تخفف عنها: «المفروض أننا سنزور بعضنا البعض، وأنا مسرورة جداً لأنني سأذهب أخيراً إلى الساحل الغربي. أواه، يا تشارلي! ما أجمل أن يكون للمرء بعض النقود لينفقها! ليتمكن من السفر بالطائرة إلى هناك دون أن يهتم بالنفقات. لقد أمضيت سنوات طويلة في الفقر، وعليّ أن أحسب كل بنس أنفقه».

لكن تشارلي كانت عابسة: «طالما لا يصيبك ضرر».

هتفت لورين: «بسبب ريس كالاهان؟ هذا غير ممكن. هل أخبرتك أنه اشترى تينك القطعتين البرونزيتين مني للاستثمار؟ إنهما من أحسن أعمالي. ومع ذلك أصبح يمتلكهما رجل لا يهتم ذرة بما تعنيان. واهتمامه الوحيد هو أن سعرهما يرتفع. وأنت قلقة من أن أقع في غرامه؟ هه...».

فتنهدت تشارلي: «لديه بنية رائعة فياللخسارة!».

ـ للنحت، نعم، أما لأشياء أخرى فلا يا سيدتي. على كل حال، لم أعد أهتم بالتعرف إلى أي رجل منذ سنوات.

تناولت تشارلي جرعة كبيرة من عصيرها زال الانزعاج على وجهها ثم سألت صديقها:

ـ هل أنت واثقة من براءة والاس؟.

أجابت هذه: «طبعاً واثقة».

ـ أخبرتني مرة أنّ إرثك من والاس كان أقل مما توقعته.

ـ هذا صحيح فمجوهرات أمه التي وعدني بها لم أرها قط مثلاً... ولكن كل شخص معرض لنكسة في سوق المال، وهذا لا يعني أن هذا الشخص قد اقترف جريمة احتيال.

ـ ألم يفض إليك بشيء قط؟.

ـ لم نكن نتحدث عن أمور كهذه. أعني أموراً جادة، كان بالغ المرح.

يضحك دوماً أو يغني أغاني البوب بأعلى صوته. إنني أفتقده كثيراً جداً.

أخذت تشارلي تتخلل شعرها بأصابعها: «هممم..... انتبهي إلى نفسك بالنسبة إلى ريس كالاهان».

قالت لورين ضاحكة: «سأفعل».

ـ فلنخرج للعشاء. لا أشعر بميل إلى الطهي. هناك مطعم رائع آخر الطريق.

قالت لورين: «ولا أريد أن نأتي على ذكر ريس كالاهان مرة أخرى. اتفقنا؟».

ـ اتفقنا.

في الساعة الثالثة من عصر اليوم التالي، قدمت لورين نفسها لسكرتيرة ريس.. كان هذا اليوم من شهر اكتوبر دافئاً بشكل غير متوقع. كان ثوبها الكتاني طويل الكمين، ذا لون أزرق قاتم، وكانت تضع قرطين ذهبيين، هما هدية من والاس في عيد مولدها الثامن عشر. كما أنها مشطت شعرها إلى الخلف وثبتته.. زينة وجهها كانت مثيرة، فتشاركت مع ثوبها، لتبدو عيناها داكنتي الزرقة.

قالت السكرتيرة بسرور: «السيد كالاهان لن يتأخر يا آنسة كورتني. لكنه خرج قليلاً عن برنامج مواعيده».

عليها إذن أن تنتظر وكأنها شخص مرتزق يتلهف إلى خدمة.

ـ آه، أنا واثقة من أنه لا يريد مني أن أنتظر يا آنسة «رايلي» ولهذا سأدخل المكتب الآن.

قالت السكرتيرة: «لا أظن أن...».

لكن لورين سبقتها وفتحت باب ريس الذي كان جالساً أمام الكمبيوتر فلما رفع بصره منزعجاً، قالت بحرارة: «مرحباً يا حبيبي كنت أعلم أنك لا تريد أن أجلس في الخارج... كيف حالك؟».

ثم، عندما أغلقت الباب خلفها، منحته ابتسامة ماكرة وقالت بصوت طبيعي:

ـ عليّ أن أخبرك بأنني عندما كنت في الثالثة عشرة، كنت أريد أن أكون الممثلة العظيمة سارة برنار الثانية. إن هذا يمتعني كثيراً.

قال باختصار: «أول ما يجب عليك أن تتعلميه هو ألا تقاطعيني أبداً عندما أكون مشغولاً».

فقالت بصوت كهديل الحمام وهي ترفرف بأهدابها:

ـ لكنني حبيبة قلبك، يا حبيبي.

لجزء من الثانية، خيّل إلى لورين أنها رأت لمحة من العاطفة في عيني ريس، ما لبثت أن تلاشت، هذا إذا كان ما خيّل إليها صحيحاً.

لكنه قال بحدة: «أنا أعني ذلك، يا لورين».

ـ يا لها من حياة كئيبة إذن حياتك هذه!

نهض واقفاً، وكان قد خلع سترته وربطة عنقه، وكان قميصه مفتوحاً عند العنق، ثم قال بنعومة خطرة: «علينا أن نوضح شيئاً. أنا من يملك البراهين عن والاس، ولهذا لي الحق في أن أصدر الأوامر».

فرفعت رأسها بتمرد: «لا أحب أن يخبرني أحد بما عليّ أن أفعل».

ـ عليك إذن أن تتعلمي بسرعة.

ـ أظنك نسيت شيئاً يا ريس. وهو أن هذه اتفاقية تضم مصالح متبادلة... مصلحة لك ومصلحة لي، وهكذا لنا نحن الاثنين الحق في إصدار الأوامر.

ـ لا يمكن أن يكون هناك رئيسان... هذه هي القاعدة الأساسية في أي شركة.

ـ موضوعنا ليس شركة، موضوعنا هو حب من أول نظرة، مشاعر عاصفة.

ابتسمت راضية: «القواعد هنا مختلفة».

ـ من المؤكد أن هذا مجال خبرتك.

أنساها غضبها كل حذر، فاندفعت تقول: «إذا ظننت أن بإمكانك أن تلقي عليّ أوامرك لمدة ثمانية أيام متعاقبة فالأفضل أن تراجع عقلك. لأنني

لن أرضخ لهذا. . . أبداً».

ـ عندما تغضبين، تبدين أكثر من مجرد جميلة. كيف تبدين عندما تحبين شخصاً أو عندما تعبرين لهذا الشخص عن مشاعرك.

ـ لن تعرف أبداً.

ـ حسب قول الصحافة، أنت لن تعرفي ذلك، أعني الحب. لأنك تستغلين الرجل وتستنزفينه حتى يجفّ. فتتركينه إلى غيره، وهذا لا يمكن أن تسميه حباً.

واقترب منها يمسكها بكتفيها بقسوة، وعيناه تخترقان عينيها وهو يتابع: «ما لا أفهمه هو كيف تبدعين أعمالاً فنية تنطق بالحق والأخلاق من مثل هذه النفسية السيئة؟ أو لماذا، ما دام لديك هذه الموهبة غير العادية، تقومين بهذه الألاعيب الرخيصة لكي تتقدمي في مهنتك؟».

أجفلت، ثم قالت بغضب: «جئت إلى هنا لتوقيع سندين، لا لكي يمزق أخلاقي رجل لا يعرف ما هي المشاعر. . . خصوصاً ما يسمى حباً».

أطلقها بالسرعة التي أمسكها بها وقال: «أنت لم تجيبي عن سؤالي».

ـ أخلاقي ونحتي متطابقان تماماً.

ـ آه، لا تقولي هذا بحق الله.

فقالت بإدراك مفاجىء: «أتعرف ما هي مشكلتك؟ أنت لم تتعود أن يعارضك أحد، خصوصاً امرأة. وأراهن أنك محاط، ليلاً ونهاراً، بكلمات: نعم يا سيدي، لا يا سيدي. . .».

ـ أما أنت فمحاطة برجال يتهافتون عليك، موافقين على كل كلمة تقولينها ما داموا يصلون إلى مآربهم.

انتفضت غضباً، لكنها قالت بلهجة مسالمة: «ريس. سأقول لك مرة أخرى. رجاءً لا تمضِ الأسبوع متحدثاً في موضوع واحد، ألا وهو شؤوني الغرامية. فأنا لا أحتمل الضجر».

ـ هل تتحدينني بهذا؟.

ـ بل هو تقرير واقع.

ـ أنا، بصراحة، لا يهمني ما تعانينه من ضجر طوال الثمانية أيام القادمة ما دمت تمتثلين لما أقول.

وفتح درجاً أخرج منه أوراقاً مطبوعة على الآلة الكاتبة، وقال:

ـ اقرئي هذه. هنالك نسختان واحدة لكل منا. سأدعو سكرتيرتي لتكون شاهدة.

كان السندان يقولان، بكلمات حذرة، إن لورين كورتني ستقدم نفسها بين الناس بصفتها صديقة لريس كالاهان وذلك لمدة ثمانية أيام، وإنها ستحتفظ بمحتويات هذه الاتفاقية سراً إلى الأبد. ومقابل ذلك، يتعهد ريس كالاهان بأن لا ينشر أبداً أي شيء من أي نوع عن والاس هارفارسن.

كانت اللغة واضحة، فقالت بثبات: «أنا مستعدة للتوقيع».

حالما توقّع، ستصبح ملتزمة، وأمضت عدة لحظات بدت لها ساعات، تحدّق إليه بجمود. أتراها مجنونة لكي تلتزم بقضاء أسبوع مع رجل يناقض كل ما تؤمن به؟ ما الذي تعرف عنه حقاً؟ ربما في اللحظة التي تدخل فيها إلى بيته، سينقض عليها. وإلى من تلجأ؟ ولكن إن لم تمكث ثمانية أيام كاملة، فسينشر كل ما لديه من أكاذيب عن والاس. لقد حاولت تشارلي أن تحذرها من أن ريس خصم منيع، ولكن، أترى لورين أصغت؟ آه، لا. . .

قال ريس بمزيد من الحدة: «لورين. عليك أن توقعي في المكانين».

أخذت قلمه البلاتيني ومضت توقع النسختين وهي تفكر بجنون. . . نعم يا سيدي. ثم أخذت تنظر إليه وهو يضيف بخطه بسرعة كتابة غير مقروءة.

انتهى الأمر وأصبحت ملتزمة.

قال منفعلاً: «هذه صفقة عمل ستدوم أسبوعاً وتبدأ غداً. كفى نظراً إليّ وكأنك تزوجتني للأبد».

سألته دون تفكير: «ألم تتزوج في حياتك؟».

فأجاب: «أتمزحين؟».

ـ يكفي أن تقول، نعم، أو لا.

ـ لا.

ـ ولا أنا... فقد كان «ساندرو» أسمى من هذه الأمور البورجوازية التافهة...

قال ببرودة: «لورين، توقيعك على هذه الأوراق ليس رخصة للاعترافات».

ـ أتعني أنها ليست رخصة لك لكي تتصرف كإنسان؟.

ـ نحن لسنا أمام الناس، وبالتالي ليس علينا أن نمثل.

قالت بسخط حقيقي: «إذا وخزتك بدبوس، فهل ستنزف دماً؟ أم ماءً مثلوجاً؟».

ـ لقد شقّ عليك كثيراً ألا أقع صريع غرامك، أليس كذلك؟.

فكرت ساخرة في أنها الحقيقة.

قالت باختصار: «أنتَ تصر على أن تراني بشكل مخالف لشخصيتي. ألم تَبنِ حاجزاً بينك وبين العالم الحقيقي جعلك تعامل كل شخص وكل شيء حسب قيمتهم المادية أو الوظيفية. هذا ما يشق عليّ».

تصلبت شفتاه وقال بغلظة: «هذه بطاقتي وفيها عنوان بيتي ورقم تليفوني. لقد فتحت حساباً باسمك في البنك في المركز التجاري فيما لو أردت شراء ملابس. والتفاصيل هي على هذه الورقة، وهذه نسختك من اتفاقيتنا. الساعة العاشرة هذه الليلة، يا لورين. لا تتأخري من فضلك.

وبحركة آلية أخذت منه الأوراق ودسّتها في حقيبة يدها وهي تقول: «سأكون هناك».

تراجع إلى الخلف وعيناه في عينيها:

ـ هناك شيء آخر، أنت أجمل امرأة رأيتها في حياتي.

وعندما فتحت فاها ذاهلة، فتح الباب وهو يقول: «أراك الليلة، يا حبيبتي».

قال هذا بابتسامة حميمة تخطف الأنفاس جعلت قلبها يخفق عالياً. ولكنها حوّلت عينيها جانباً دون أن تتكلم، ومرت بالسكرتيرة وكأنها امرأة

تحلم. وكان المصعد بانتظارها، وعندما انفتح بابه، سمعت صوت الباب خلفها يغلقه ريس بلطف.

«أنت جميلة إلى حد يكفي. أنت أجمل امرأة رأيتها في حياتي».

أيهما كانت الحقيقة وأيهما التمثيل؟ وإن كانت لا تستطيع إدراك الفرق، فلماذا تحملت هذه المسؤولية؟.

وقفت العربة أمام باب منزل ريس الساعة العاشرة إلا ثلثاً من مساء ذلك اليوم... لكن لورين صعب عليها الاعتراف لنفسها بأنها لم تشأ أن تتأخر. لقد حسبت حساب زحمة السير، فوجدت أن أمامها متسعاً من الوقت.

لاحظت أن المساحة المحيطة بالمنزل مصممة على الطراز الياباني، متجاوبة مع الصخور والنباتات المعترشة والشجيرات القصيرة التي تسري بينها المياه المترقرقة. كان المكان جزيرة من السلام والسكينة في نظر لورين. وتمنت لو كانت تشعر بمزيد من السكينة.

هل سيظن ريس أن وصولها باكراً دليل على لهفتها إلى رفقته؟ يمكنها أن تقف هنا عشر دقائق متفرجة على الحديقة.

فلتذهب الألاعيب والتظاهر إلى جهنم! واتجهت إلى الصالة حيث عرفت عن نفسها لموظف الاستعلامات الذي قال لها بابتسامة رضا: «السيد كالاهان بانتظارك يا سيدتي».

وقف بها المصعد أمام باب ذي قبضات من الحديد المزخرف. كانت شقة ريس هي الوحيدة في هذا الطابق. وغاصت قدماها في السجاد السميك، وضغطت زر الجرس. فلتدع المغامرة تبدأ! ثم رسمت على وجهها ابتسامة.

***

فتح ريس الباب. أخذت لورين تحدق إليه لمدة خمس ثوانٍ كاملة، وقد هرب من ذهنها كل ما أعدت له من تحيات. كان حافياً عاري الصدر حتى

الخصر، وشعره مبتل. أخذت تفاصيل قدّه تملأ ذهنها واحدة بعد أخرى.

قال بفتور: «جئت مبكرة»

ـ حسبت للزحام وقتاً أكثر من اللازم.

ـ تفضلي بالدخول. لقد خرجت لتوي من تحت الدوش.

كان ذقنه قد غطاه ظل للحية النهار، بدا شبيهاً بإنسان، وهو أيضاً جذاب إلى حد خطر غير عادي.

قال: «دعيني آخذ حقيبة ثيابك».

سلمتها له دون كلام، وهي تحدّق إلى تموج عضلات ساعديه.. وعندما أدار ظهره إليها ليضع الحقيبة، فكرت بانفعال بالغ بأن انفعالها عائد فقط لأنها فنانة. ولا علاقة له بأنها امرأة أمام رجولة طاغية غير عادية. ولكن لماذا لم تلاحظ في مكتبه مبلغ جمال حركاته الفياضة بالرجولة والرشاقة؟.

قال: «الأفضل أن أريك غرفتك الآن. ماذا في الكيس الآخر؟».

وكانت تمسك بيسراها حقيبة صغيرة من الجلد.

ـ فيها عدة الشغل. أنا لا أسافر أبداً من دونها.

ـ هاتها.

قالت بابتسامة باهتة: «أنا سأحملها».

ـ أنت لا تثقين بي، أليس كذلك؟ حتى بالنسبة إلى شيء بسيط مثل عدة العمل.

فقالت بقوة: «ريس. الاتفاقية هي أن نتصرف كحبيبين أمام الناس لا أن نتعارك كالكلب والقطة على انفراد».

نظر إليها من أعلى إلى أسفل، إلى «الحذاء» الذي يصل إلى كاحليها وسترة الفرو المبقعة بالأسود «والفيزون» المضلّع الذي يتلاءم معها. ثم قال:

ـ من الواضح أنك أنت القطة. هل هذا يجعلني الكلب؟.

ـ لست من نوع «البودل» الصغير الكثيف الشعر.

ـ هل أنا من نوع كلب الصيد الذي يزعج الناس على الدوام؟.

ضحكت وقد انسجمت في اللعبة: «هذا مستحيل، لأن أذنيك لطيفتان جداً وساقيك طويلتان جداً».

فقال: «هل تدركين أننا متفقان في شيء ما».

فقالت برزانة: «بينما لم أتجاوز عتبة الباب بعد».

وكانت تعجب بينها وبين نفسها عما جعلها تقول هذا عن أذنيه.

ـ دعيني آخذ سترتك.

عندما وضعت حقيبة معداتها وخلعت سترتها قال: «كنت أتساءل عما إذا كنت ستتراجعين في آخر لحظة».

غامت ابتسامتها وقالت: «وبهذا يصبح بإمكانك أن تسوّد اسم والاس من أول البلاد إلى آخرها؟ لا أظن ذلك. أين غرفتي؟».

ـ في آخر الردهة.

ولأول مرة، نظرت لورين حولها فكان أول ما لاحظته هو الاتساع، وبعض قطع الأثاث الرائعة المصنوعة من الجلد وخشب السنديان.

ثم وقعت عيناها على مجموعة فنية ملأت المكان بالألوان والحركة والإثارة. فقالت شاعرة بالدوار: «تلك من أعمال «كاندنسكي»، وبيكاسو، وشاغال. وأكيد أن ذلك هو من عمل «جايمس آردمور». إنها قطعة رائعة يا ريس. انظر أيضاً. هذا من عمل «بايروت». ألا تحب الطريقة التي يجذب فيها الضوء من أي مكان تقف فيه؟.

وتألق وجهها حماسة. وتقدمت إلى لفافات لامعة من النحاس الأحمر وأخذت تمرّ بأناملها عليها برقّة فائقة وعندما رفعت بصرها إليه، كان ريس ينظر إليها بملامح جامدة. فقالت بلهفة:

ـ ألا تظن أنها تتوسل إلينا لنلمسها؟ أنا أعشق أعماله.

ـ لدي قطع أخرى من أعماله في غرفة نومي.

فهتفت دون تفكير: «أيمكنني أن أراها؟».

سار ريس أمامها في الردهة الواسعة التي كانت تضم المزيد من القطع الفنية التي بهرت عينيها. كانت النوافذ تطل على الشارع المشجر المؤدي إلى حديقة «ستانلي»، لكن عيني لورين كانتا فقط مسمّرتين على تمثال برونزي لرجل واقف على قاعدته بجانب باب الشرفة.

أراحت يديها على كتفي الرجل العاريتين، ثم أخذت تتلمس الأوتار العصبية بعينين نصف مغمضتين، وهي تهمس: «كأن «بايروت» اكتشف شيئاً كان موجوداً هناك ينتظره».

فقال بخشونة: «هل بهذا الشكل تتعرفين إلى رجل؟».

انتفضت والتفتت حولها وهي تدس يديها في جيبيها ثم قالت: «ماذا تعني؟».

ـ رغبة، استغراق، شبه غيبوبة.

علاقتها مع ساندرو لم تتجاوز قطّ حدود العناق. ولكن هذا لا يعني أن المفروض أن يعلم ريس بذلك. فقالت:

ـ على كل حال، لا شأن لك بكيفية تعرفي إلى أي رجل.

ـ ماذا تفعلين إذن في غرفة نومي؟.

كان المصباح القائم بجانب السرير يلقي بقعاً من الضوء والظلال على ريس. وانتبهت لورين فجأة إلى أنها كانت وحدها تماماً معه لا تبعد عن سريره سوى قدم واحدة. فصرخت فيه:

ـ هل ظننت أنني قصدت من طلبي رؤية التمثال أن أغريك...؟.

فقال وكأنه ينزع الكلمة من فمه: «اشتريت هذه الشقة منذ عشرة أشهر فقط. وأنت المرأة الوحيدة التي تدخل هذه الغرفة».

أدركت على الفور أنه كان يقول الحقيقة وتراجعت خطوتين وقد تملكها الخوف، وقالت بصوت خافت: «لا يهم إن كنت أدخلت خمسين امرأة إلى غرفة نومك لأنني لم أنم قط مع أحد حتى مع ساندرو، وحتماً لن أبدأ معك».

ـ أتتوقعين مني أن أصدق ذلك؟.

ـ لا يهمني إن كنت تصدق أم لا!.

ـ ولكن كيف يُعقل ذلك؟.

قاطعته بغضب: «وما شأنك أنت بذلك على كل حال؟».

ـ لا شيء. سآخذك إلى غرفتك.

إذا كانت العيون هي نوافذ الروح، كماأخذت لورين تفكر متأملة، فقد أغلق ريس مصاريعها لتوّه. ولكن هل لديه روح؟ لديه مشاعر بكل تأكيد، فهذا ما أدركته في الدقائق الماضية.

كان ريس يجتاز الردهة بخطوات واسعة وكأنما يلاحقه دب قطبي جائع. وكانت على وشك أن تسرع خلفه، عندما وقفت فجأة أمام فجوة مضاءة في الجدار فيها وقف تمثال صغير للعذراء والطفل.. تمثال منحوت من خشب بلغ من قدمه أن بدا الثوب الأخضر أسود تقريباً. كان النحت بسيطاً بدائياً غير متقن. ومع ذلك كان الحنان يفيض من الواحد منهما على الآخر بحيث جعل المشاعر تخنق لورين، فكادت لا تنتبه إلى ريس وهو يعود إلى حيث كانت تقف. وقال بخشونة: «ماذا حدث؟».

فهمست وعيناها تفيضان إعجاباً: «ما أجملها!».

ـ هذا من عمل فنان مجهول في القرن الرابع عشر. يمكنك أن تحملي التمثال.

فقالت تعترض: «ولكن....».

ـ لورين، احملي التمثال.

رفعت التمثال بشيء من الهيبة، ويداها تحتضنانه بنفس الحنان الذي ينضح منه. وقالت:

ـ انظر كيف تضع كتفها على ذراعها التي تحتضن الطفل. لا بد أن الذي نحت هذا التمثال كان يحب ابنه.. ألا تظن هذا؟.

ورفعت وجهها إلى ريس... وجهاً صريحاً غافلاً لا يعرف المكر.

وضع يده على خدها لحظة قصيرة، ثم قال بصوت غليظ:

ـ كان بإمكانك أن تكوني النموذج... نموذج الأم.

قالت: «يا له من كلام جميل!».

تسرّب الدفء من لمسته إلى عروقها... وكان يقف قريباً جداً منها.. كيف ظنت أن هذا الرجل لا يشبه البشر ولا يملك روحاً.

ـ أين وجدته؟.

كانت تريد أن تطيل هذه اللحظة التي شعرت بها هشة وبالغة الدلالة في وقت واحد.

ـ في قرية صغيرة في طريق «أوستريا واي».

ـ هل تمانع إذا صنعت نسخة عنها؟ سأدمر النسخة عندما أنتهي منها.

وأعادت التمثال إلى مكانه في الفجوة بلطف بالغ.

فقال: «سأخرج من البيت يومياً. وبهذا يمكنك أن تفعلي ما تريدين».

نظرت إليه، فإذا الجمود يعود إلى عينيه. رأت ذلك فتملكها الذعر.

لقد أغلق وجهه دونها. ولكنها وجدت نفسها تلقي عليه سؤالاً لا تدري من أين جاءها فقد خرجت الكلمات من فمها قبل أن تستطيع منعها: «هل كانت أمك تحبك يا ريس؟».

فقال بهدوء بالغ: «ليس لديك الحق في إلقاء هذا السؤال وليس لديّ نية في الإجابة عنه».

ـ أظن أنني....

قاطعها: «غرفتك في نهاية الردهة. هل تريدين أن تأكلي أو تشربي شيئاً قبل الذهاب إلى السرير؟».

ـ لست طفلة يرسلونها إلى سريرها لأنها أساءت التصرف.

ـ لا. بل أنت شابة متطفلة عديمة الإحساس.

ـ إذا كان لديك مشاكل بالنسبة إلى سؤالي، فقل هذا، ولا تلمني لإلقائي السؤال.

ـ لدينا ترتيبات عملية ولا شيء أكثر من هذا.. تذكري هذا من فضلك.

فقالت بهدوء: «منذ سنوات، سمحت لساندرو بأن يخيفني حتى أستسلم، فكدت أضيّع نفسي. وهكذا أقسمت ألا أدع ذلك يحدث مرة أخرى ولهذا... إياك أن تحاول... يا ريس».

ـ إننا نتعارك كالكلب والقطة مرة أخرى، وهذا ليس من ضمن الإتفاقية. أليس هذا ما قلته؟.

وكان هذا صحيحاً. فقالت بتوتر: «أنت كقطعة ضخمة من الحديد، أو عصا من الفولاذ».

ـ لا تظني أبداً أن بإمكانك أن تشكليني حسب رغبتك.

ـ هل تحتقر كل النساء أم أنا فقط؟.

ـ أنت لا تذعنين أبداً. أليس كذلك؟

شحب وجهها وقد تذكرت فجأة تمثال الرجل الذي في غرفته وقالت: «آه... أنت تفضل الرجال إذن».

ـ أنا لا أفضل الرجال. الأمر بسيط يا لورين فأنا لا أميل إلى تلك الحالة النفسية البلهاء التي يعتبرونها في مجتمعنا حباً رومانتيكياً.

ـ منحوتة العذراء والطفل تلك.. ليست عن الحب الرومانتيكي الشاعري، وإنما عن الحب الأصيل.

ـ الحب؟ وما الذي تعرفينه عن الحب؟ هل لديك زوج؟ هل لديك طفل؟.

أجفلت وشحب وجهها فجأة: «أنت تعرف أنه ليس لدي طفل أو زوج. لقد أحببت ساندرو، لكنه لم يكن يريد الزواج ولا الأولاد. كما أنه لم يكن يريدني أنا... شخصيتي الحقيقية».

ـ أنت تعرفين جيداً كيف تسدّين كل فجوة. يمكنك أن تصنعي شاياً أو قهوة في غرفتك. إنني أتناول الفطور في الساعة السادسة والنصف ثم أخرج من البيت في الساعة السابعة. سأعود غداً مساء في الساعة السادسة حيث نذهب إلى حفلة الكوكتيل في الساعة السابعة وبعد ذلك نذهب إلى حفلة العشاء. ارتدي شيئاً مناسباً. هل اشتريت لنفسك بعض الملابس؟.

ـ لا، طبعاً.

ـ عليك أن تظهري بجانبي بمظهر لائق. هذا عدا الدور الذي تمثلينه.

فلجأت إلى الغضب: «لديّ نقودي. فإذا احتجت ملابس سأشتريها بنفسي».

فقال بحدة: «هل يجب أن تجادلي في كل شيء؟».

ـ معك، نعم.

ـ كان عليّ أن أطلب شهادة حسن سلوك قبل أن أوقع تلك الاتفاقية اللعينة.

ردت بحدة: «قد تعطيك المصائب دروساً. أنا ذاهبة لأنام، تصبح على خير».

ـ كوني جاهزة في مساء غد في الساعة السابعة إلا ربعاً.

ـ نعم يا ريس. سأكون جاهزة.

قالت هذا وهي تفكر منتقمة، في أنها سترتدي أقل ملابسها حشمة وسارت نحو الباب القائم في نهاية الردهة. لكنها سمعته ينادي من خلفها:

ـ سأحضر لك حقيبة ثيابك إلى غرفتك وكيس المعدات أيضاً، هذا إذا كنت تثقين بي.

ـ أثق بك بالنسبة لهذا الأمر.

وفكرت، وهي تكتم ضحكها، في أنها لا تحتاج إلى أكثر من هذا للهرب.

كانت غرفتها مطلية بلون عنابي. وغطاء السرير كان أزرق اللون، وعلى كل جانب من المدفأة الرخامية هناك درج بديع صيني الطراز للكتابة. وعلى الرفوف مجموعة يحسد عليها من الأواني الخزفية الرائعة الصنع. وعندما شعرت بكل عصب فيها، بخطوات ريس وهو يدخل الغرفة استدارت إليه تواجهه. فقال بهدوء:

ـ ذلك الباب يؤدي إلى الحمام، وباب الشرفة هناك. أراك غداً مساء حوالى السادسة أو السادسة والنصف.

من الواضح أنه لا يريد أن يراها في الصباح، مالت إلى الأمام لتشعل المصباح. فتأرجح شعرها بنعومة حول وجهها فقالت بأخف لمحة من التهكم: «استمتع بنهارك».

حدّق إليها صامتاً مدة خمس ثوانٍ كاملة. فرفعت ذقنها لا تريد أن تحوّل نظراتها عنه. ثم قال بجفاء: «تصبحين على خير، يا لورين».

ثم أغلق الباب بحزم.

استلقت لورين على السرير الفسيح، وهي تتمنى لو بإمكانها أن تفعل أي شيء تقريباً في سبيل أن تعود إلى غرفة الضيوف في شقة تشارلي... ولكن كل شيء إلا سمعة والاس...

ليست هذه الأيام الثمانية مدة طويلة. لذا يمكنها أن تتدبر أمرها، حتى لو صدّها ريس كالاهان بقدر ما جذبها. ولو كانت لامبالية به لكان ذلك آمن لها بكثير.

استيقظت لورين في الصباح التالي باكراً. كانت الشمس تتسرب من باب الشرفة فأدركت بالضبط ما ستفعله طوال النهار. لكنها ستكون بحاجة إلى مفتاح الشقة.

ارتدت بنطلونها الضيق بسرعة، مع الكنزة، وأسرعت إلى الردهة حافية القدمين وشعرها مسترسل حول وجهها. وفي غرفة الجلوس الفسيحة. نادت: «ريس أين أنت؟».

فأجاب: «في المطبخ».

لم يبد في صوته الترحيب ودخلت إلى المطبخ المجهز بأحدث التجهيزات العصرية، راسمة ابتسامة على فمها. كان ريس يمضغ قطعة خبز محمص وهو يحدّق في الأوراق أمامه. فقالت: «أراك بدأت باكراً».

ـ وأنت على ما يبدو. ماذا تريدين؟.

ـ مفتاح بيتك. أريد أن أخرج هذا الصباح.

ـ البواب يملك مفتاحاً إضافياً، وقد أخبرته أن يعطيك إياه.

ووضع ملاحظة على واحدة من الأوراق.

فقالت: «رائحة هذا الخبز لذيذة. أيمكنني الحصول على شيء منه؟».

ـ ألا يمكنك الانتظار حتى أخرج؟.

سألته: «وهل أنت دوماً غريب الأطوار بهذا الشكل؟».

ـ ليس مع الناس الذين أحبهم.

حملقت فيه وقالت وهي تسير نحو ماكينة القهوة: «حاول أن تمنعني».

فقال بصوت لاذع: «بدأ ساندرو يجوز على تعاطفي الكلي».

أوشك الفنجان الذي كانت تملأه أن ينزلق من قبضتها. لكن السائل الحار انساب على ظهر يدها فشهقت بألم واندفعت إلى حوض الغسيل تضع يدها تحت الماء البارد. وإذا بريس بجانبها يقول:

ـ أريني يدك.

ـ الأمر غير هام.

أمسك بمعصمها، ثم وضع السدادة في الحوض وهو يقول:

ـ الجلد لم يكشط. الأفضل أن تغطسي يدك في الماء البارد.

أذهب الماء البارد الألم. فقالت: «ثمة حكمة هنا إذ ما كان لي أن أبدأ الشجار قبل أن أعدّل كمية الكافين المنبهة في جسدي».

ـ ما زلت تحبين ساندرو.

اهتز معصمها في يده كعصفور في فخ، وقالت: «كان هذا منذ سنوات».

ـ هذا ليس جواباً كافياً.

ـ ليس لدي جواب آخر لك.

ازداد اقتراباً منها يتأمل وجهها: «لا زينة على وجهك. أنت لورين كورتني الحقيقية الآن».

اندفعت تقول: «وأنت غير حليق. ولكن هل أبديت قط للآخرين ريس كالاهان الحقيقي؟».

فقال بمرارة عميقة مفاجئة: «وهل هناك ريس كالاهان حقيقي؟».

همست ذاهلة: «طبعاً هناك، ما دمت تسأل».

فقال وهو يبتعد عنها ويجفف يديه:

ـ آه، هذا مؤكد. فلندع هذا الحديث. هل قلت إنك تريدين خبزاً محمصاً؟.

ـ نعم من فضلك.

وأرادت أن تخفف من توتر الجوّ فأضافت:

ـ هذا المطبخ رهيب جداً. فأنا، كما قد تصفني، طاهية شاردة الذهن.

فقال دون أن يبتسم: «اجلسي وسأحضر إليك قهوة. أتريدين قشدة وسكراً؟».

ـ ثلاث ملاعق سكر إنما دون قشدة.

ـ لكي تصبحي حلوة؟.

ـ لكي أبدأ نهاري. الغليكور يقوّي الإبداع... أو هذه هي نظريتي على الأقل.

نظر هازئاً إلى أوراقه وقال: «ربما عليّ أن أجرّب وصفتك هذه فأمامي في الأيام القادمة مفاوضات هامة».

ـ العسل أفضل من السكر. وشراب «القيقب» أفضل من الجميع.

ـ أنت إذن خبيرة بطرق تقدّم الإبداع. ينبغي أن تؤلفي كتاباً.

قال هذا بجفاء وهو يضع أمامها فنجان القهوة.

فقالت: «ليس لدي وقت. أتعرف ماذا، باريس؟ هذا أول حديث حقيقي بيننا. حديثنا الأول».

ـ لا ترفعي حظك. ولا تعتبريني تحدياً لك.

احمر وجهها: «هل هي مغامرة دون فائدة؟».

ـ تماماً.

قالت بلهجة ذات معنى: «لا أصدق أنك اشتريت كل واحدة من هذه التحف والمنحوتات في هذه الشقة في سبيل الاستثمار فقط».

قال باستياء وهو يخرج الخبز المحمص من جهاز التحميص: «أنت لا تفهمين التلميح».

ـ وهل تمثال العذراء والطفل للاستثمار؟ أنت اشتريت ذلك التمثال لأنه، بشكل ما، يتجاوب مع شيء في قلبك.

كان ظهره إليها، وإذا به يهتز وكأنها ضربته، فاستدار ووصل إليها بخطوتين ثم وقف مشرفاً عليها وغرز أصابعه في كتفيها وهو يقول:

ـ ابقي بعيدة عن حياتي الخاصة، يا لورين. أنا أعني ذلك.

كانت عيناه تتوهجان بالمشاعر. وكان وجهه من القرب من وجهها بحيث استطاعت أن ترى أثراً أبيض صغيراً لجرح قديم على جفنه. لقد أصابت فيه وتراً حساساً.

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت بصدق: «أنا آسفة. لم أقصد إيلامك».

فقال بخشونة: «سأتأخر عن عملي. إذا كانت يدك المحترقة بحاجة إلى عناية، فاستعملي صندوق الإسعاف الأولي الموجود في خزانة الحمام. أراك هذا المساء».

ثم جمع أوراقه وغادر المطبخ.

أخذت لورين تأكل خبزها وهي تفكر.. كان الثلج في عينيه ممزوجاً بالحقد. ولكنها تأكدت بسبب ردة فعله من أنه اشترى تمثال العذراء والطفل لسبب شخصي لا ينوي بالتأكيد الكشف عنه. إنها الآن تعرف شيئاً واحداً، وهو أنها لن تشعر بالملل أبداً أثناء وجودها هنا.

* * *

٣ ـ المشاعر المقنّعة..

ـ لورين، ما الذي تفعلينه بحق الله؟.

انزلق الإزميل فانغرز في الخشب بسرعة. فاستدارت لورين بسرعة وهي تهتف بضيق:

ـ إياك أن تفاجئني مرة أخرى بهذا الشكل أثناء عملي يا ريس. انظر ماذا جعلتني أفعل! وما الذي تفعله أنت في البيت على كل حال؟ أما قلت إن موعدنا في الساعة السادسة من هذا المساء؟.

قال وهو ينزع ربطة عنقه: «الساعة الآن السادسة وخمس وثلاثون دقيقة، والمفروض أن نخرج بعد ثلث ساعة».

فتحت لورين فاها ذاهلة: «هذا غير ممكن. لقد تناولت غذائي لتوّي».

قال وهو ينظر إلى ساعته: «السادسة والسادسة والثلاثون».

صرخت منتحبة: «آه، لا. وعدتك أن أكون جاهزة».

ـ هذا صحيح.

ـ آسفة يا ريس. الأحسن أن تخرج لكي أغير ملابسي. أقسم بألا أتأخر أكثر من عشر دقائق.

ـ ماذا فعلت بإصبعك؟.

نظرت إلى سبابتها: «لا شيء مهم جرحته أثناء العمل».

ـ شكلك فوضوي تماماً.

نظرت إلى نفسها ضاحكة. كانت تلبس أقدم بنطلون لديها وقميصاً

www.elromancia.com

مقفلاً تغطيه عدة ثقوب سببتها شعلة اللحام. وكان شعرها مشدوداً إلى الخلف بشكل غير منظم على رقبتها.

ـ أتعني أنك لن تأخذني إلى حفلة الكوكتيل بهذا الشكل؟ أين حس المغامرة فيك؟.

قال بنبرة جعلتها ترفع رأسها بسرعة: «بدأت أتساءل عن ذلك».

ـ وأنت أيضاً لا تعتبرني تحدياً لك.

ـ بدأت أفكر في أن والاس هارڤارسن مسؤول عن أكثر من مجرد نصف مليون دولار. اذهبي واستعدي للخروج يا لورين. ارفعي شعرك بالدبابيس إلى أعلى وضعي صبغة حمراء على أظافرك، ولكن اسرعي بحق الله.

أخذت تضحك: «أحتاج إلى أكثر من عدة دبابيس لأكون لائقة المظهر».

ثم وقفت وابتعدت عن المنضدة وأخذت تتمطى برشاقة دون وعي. وتلاشى الضحك عن وجه ريس، وقال بحدة: «هل فعلت هذا اليوم؟».

أومأت وأخذت تنظر إليه وهو يقترب من المنحوتة التي أمضت ساعات في صنعها. وقال بصعوبة: «يمكنني أن أرى إلى أين تتجهين... هذا شيء جميل جداً».

فقالت بأسف: «فكرت في أن أصنع نسخة فقط. لكن يديّ استمرتا في العمل دون وعي مني».

وأثناء كلامها جذبت الشريطة من شعرها وهزته فأصبح سحابة حول وجهها.

كانت خطوط تمثال الأم والطفل تبدو عصرية تماماً، لكنها تنضح بحنان من عمر الزمن. وقال ريس بصوت أجش:

ـ أنا ذاهب لآخذ «دوش» وسأنتظرك في غرفة الجلوس. اعلمي أنني مضيف هذه الحفلة، لذا لا أريد أن أتأخر.

ردّت بحدة: «نعم يا سيدي».

أخذت تنظر إليه وهو يخرج من الغرفة. ثم وضعت الإزميل على

المنضدة. هل عرفت يوماً رجلاً لديه كل هذا الحشد من التناقضات؟ لقد أدرك على الفور ما الذي تبدعه من كتلة الخشب هذه، فهرب منها وكأن كل شياطين جهنم تلاحقه. ولكن عليها ألا تعتبره تحدياً لها. ونظرت إلى نفسها.. التحدي هو أن تحوّل نفسها من امرأة رثة الهيئة إلى عارضة أزياء في أقل من عشرين دقيقة. هيا، يا لورين! أمامك أسبوع كامل تكتشفين فيه حقيقة ريس كالاهان.

الساعة السابعة. لقد تأخرت لورين. فتح التليفزيون على الأخبار، وهو يتساءل ليس للمرة الأولى، أية روح شريرة تقمصته واقترحت عليه أن يجعل لورين كورتني تمثل أمام الناس دور حبيبته. والنتيجة أن والاس هارڤارسن بقي دون عقاب، وهو، ريس، أصبح مرهقاً بامرأة مزعجة محبة للجدل، لا تعتبر الدقة في المواعيد جزءاً من مواهبها...

لقد كان في ذلك التمثال اللعين شيء أرغمه على شرائه حالما رآه، وهذا ما لاحظته هي فوراً... وإذا بصوت يعلو على صوت المذيع، هو صوت لورين، يقول: «هل منظري جيد؟».

أطفأ التليفزيون وهب واقفاً وهو يلتفت إليها. كانت متكئة على الباب وقد خفضت جفنيها احتشاماً. كان ثوبها أسود ينزل ضيقاً إلى منتصف الفخذ، وحول عنقها وشاح يتألق بلونيه الأزرق والقرمزي، وكان حذاؤها الخفيف ذا طوق نحيف وكعب كالخنجر. بينما تدلى قرطاها إلى الكتفين تقريباً، وهما مؤلفان من أقراص حمراء وزرقاء تتحرك، لخفتها، مع تنفسها.

قال ساخراً: «ستكونين موضعاً للانتباه».

ابتسمت، وقالت:

ـ أليس هذا هدفنا؟.

اقترب منها وقد لاحظ أهدابها البالغة الطول. وسألها:

ـ كيف تجعلين شعرك بهذا الارتفاع؟ إنه يناقض كل قوانين الجاذبية.

كان مكوّماً بشكل مجموعة من الخصلات الملتفة بشكل حلقات، جاعلاً عنقها تبدو طويلة جداً ونحيفة جداً.

أجابت: «بالدبابيس والتضرع إلى الله».

ـ دعيني أرى يديك.

مدت يديها.. كانت القهوة الساخنة قد تركت بقعة حمراء على قفا يدها اليسرى، كما كانت سبابتها مضمدة برباط نظيف.

سألها فجأة: «هل تجرحين نفسك كثيراً؟».

ـ إنها مخاطر المهنة... حسب قولك.

ـ هل الجرح عميق؟.

ـ لا. لكنني بشر فنزفت.

ـ على عكسي أنا.

ـ أنت قلتها لا أنا.

لم يعرف أياً كرهه أكثر. القماش الأسود المعلّق بجسدها أم السخرية في عينيها الفيروزيتين. ردّ بصوت فظ: «كل هذا يبعث على التسلية البالغة. وأنا واثق من أن بإمكاننا أن نبقى هنا نتبادل الشتائم طوال الساعة التالية. لكن سيارتي في الانتظار. فلنذهب... ثم، لا تنسي يا لورين السبب وراء هذا كله، من فضلك. والاس... أتتذكرينه؟».

ـ هل تخبرني بأن أكون حسنة التصرفات؟.

ـ نعم. هذا ما سأفعله بالضبط.

فقالت بحدة: «أعدك بأن أكون حبيبة رائعة».

قال بسخرية تماثل سخريتها: «هل نذهب يا حبيبتي؟».

فانتفخ منخراها: «إذا كنت تظنني سأبدأ هذه اللعبة قبل الوقت المطلوب مني بدقيقة واحدة...».

الحافز المفاجىء الذي تملكه ليأخذها بين ذراعيه ويعانقها كان بقوة واندفاع موج البحر الذي لا يقاوم لكنه خاطب نفسه بأن من غير الممكن أن يصل إلى هذا... خصوصاً مع لورين كورتني. هذه الوصفة المؤكدة للمصائب. وقال ببرودة: «لا يهمني ما تفعليه عندما نكون وحدنا مقدار ذرة، ولكن الأفضل لك أن تتمسكي، بين الناس، باتفاقيتنا، وإلا ألغيت

الصفقة».

ـ حسن حسن. فلنخرج.

سارت أمامه إلى المصعد. ثم أخذت تحدّق في لوحة الأزرار طوال مدة هبوطها. كانت سيارته «بورش» سوداء، فأمسك لها الباب لتدخل إلى المقعد بجانب مقعده. وصعد ريس إلى مقعده.

صفق الباب.. ما إن ينتهي هذا الأسبوع حتى يبحث لنفسه عن امرأة، امرأة سائغة مقبولة ليس في كيانها شعور فني واحد، فقد أمضى وقتاً طويلاً دون نساء، وهذه هي مشكلته. ولا علاقة لشيء بلورين.

وبصمت مشحون بأشياء لم يقولاها، اتجها إلى أفخم فندق في المدينة فأوقف ريس السيارة أمامه وقال: «لا بأس لقد وصلنا.. الأفضل أن تتصرفي حسب الاتفاق يا حبيبتي، وإلا رفعت الغطاء عن زوج أمك الغالي بسرعة لا تدركين بها ماذا أصابك».

ـ ما أحسن هذا! إنه إنذار نهائي يجعلني أشعر وكأننا أمضينا النهار معاً تغلّفنا المشاعر المجنونة.

تعمّد أن يضع ذراعه حول كتفيها، وهو يقول:

ـ وهذا هو سبب تأخرنا.. صح يا حبيبتي؟.

شعر بها تبتلع ريقها بجانب خده، ثم قالت: «صح».

قالتها بصوت خافت كهديل الحمام وهي تهمس في أذنه.. سرت الأحاسيس في كل عصب فيه. ملأ خياشيمه عطرها الذي كان مثلها سحراً وتعقيداً... وبدا تجاوبه جلياً على الفور.

ثم تمتمت: «الأفضل ألا تقبلني إلا إن كنت تريد أن يتلطخ وجهك بحمرة الشفاه ونحن ندخل. لا حاجة إلى أن نقنعهم إلى هذا الحد، أليس كذلك؟».

كانت متحكمة بنفسها تماماً. وفهم من هذا أنها تعبث معه، وتؤدي الدور نفسه الذي أصر عليها بأن تؤديه.

كان معتوهاً... وغاية في الحماقة. وبجهد يفوق طاقة البشر، استطاع

www.elromancia.com

أن يقول بكسل:

ـ أنا واثق من أن بإمكاننا أن نقنعهم بأننا نحب بعضنا بعضاً بجنون.

كانت أصابعها دافئة على ذراعه. وقاوم موجة من المشاعر أوشكت أن تكتسحه، وهو يقول: «فلندخل يا لورين. غلام الفندق سيهتم بالسيارة».

أمسكت بوجهه بين راحتيها ونظرت في عينيه مباشرة ثم همست له بشعور عنيف:

ـ أنا مجنونة بك، يا حبيبي وأنت تعرف هذا، أليس كذلك؟.

لجزء من الثانية وجد نفسه يصدقها، لشدة ما كان وهج المشاعر في عينيها مقنعاً. لكنها كانت تمثل فقط. وتملكه غضب جامح كاد يخنقه وهو يقول:

ـ ألم أصدق كل كلمة قلتها منذ لحظة تعارفنا؟ ولا تناديني بيا حبيبي ولو مزاحاً.

ثم نزل من سيارته وأعطى المفاتيح للغلام ذي الزي الرسمي وهو يقول له: «الاسم هو «كالاهان»».

ـ شكراً يا سيدي.

سار ريس إلى باب لورين وفتحه، ثم أخذ يدها ورفعها إلى شفتيه:

ـ ألم أخبرك بعد كم تبدين جميلة؟.

اقتربت نحوه وهي تقول: «مئة مرة، ومع ذلك غير كافية».

وارتفع صوت رجل يقول: «ريس، ما أحسن أن أراك!».

التفت ريس: «ماركس. أنا مسرور لتمكنك من الحضور. وما أحسن أن أراك، يا «تيفاني»! هل لي أن أقدم «لورين كورتني» إليكما؟ أقدم إليك «ماركس ويلرايت»، يا حبيبتي، رئيس الفرع الأوروبي لشركتي... وابنته «تيفاني»».

كان ماركس في الخمسينات، متين البنية، بالغ البشاشة. لاحظ ريس

أن تيفاني كانت كعادتها، نفس الفتاة العزباء الباردة كالثلج. كانت ترتدي ثوباً أبيض من الساتان. وشعرها الأشقر ممشط بنعومة وأناقة. لن يدهش إذا انهار طراز شعر لورين قبل أن تنتهي السهرة. لكن شعر تيفاني لا يمكن أن يحدث له ذلك. وعاد بانتباهه بسرعة إلى ماركس الذي كان يصافح لورين وهو يسأل:

ـ أليست هي النحّاتة؟ لم أكن أعلم أنكما تعرفان بعضكما بعضاً.

قال ريس: «لقد تعارفنا حديثاً. حب من أول نظرة. أليس كذلك يا حبيبتي؟».

ضحكت له لورين وهي تتأبط ذراعه تماماً:.

ـ وأنا ما زلت مصدومة... هل مركزك في باريس يا ماركس؟.

ـ باريس، هامبورغ، أوسلو... أي بلد تسميه.

بدا ماركس كرجل يتمالك نفسه بعد أن سمع شيئاً لا يوافقه. أما تيفاني، كما لاحظ ريس، فقد ظهر عليها غضب هادىء.

بدأت لورين تتحدث عن سوق الفن في باريس، مضمنة بمهارة، تيفاني وريس في الحديث. كل حركة منها كانت تنبىء بأنها امرأة، تأخذ وتعطي بكرم بالغ.. أخذ ريس يفكر بأن إداءها بارع في حين أنه يجاهد ليؤدي دوره. ثم جره ماركس جانباً بسؤال عن مكتبهما الفرنسي، فكان يجيب بشكل آلي، وكل أحاسيسه موجهة إلى لورين. سمع تيفاني تقول:

ـ إذن، أنت آخر ألعوبة لدى ريس؟.

ـ ما كنت لأطلق هذا الاسم على نفسي.

فقالت تيفاني: «لا تخدعي نفسك من هذه الناحية، أنا هي التي ستدوم معه. لديّ النشأة الحسنة وكل الارتباطات المناسبة».

ونظرت ساخرة إلى قرطي لورين وتابعت: «والذوق».

فقالت لورين: «أما أنا فموهوبة ذكية ورائعة الجمال».

ـ ومغرورة بشكل لا يصدّق.

ـ أنا واقعية فقط.

كبح ريس رغبة في الضحك عالياً، وحاول أن يركز انتباهه على ماركس الذي كان يريد أن يطرد مدير مكتبه، فقال له بحماسة يبعده عن هذا الموضوع:

ـ يجب أن أدخل يا ماركس. أنا مسرور لأنك أنت وتيفاني تعرفتما إلى لورين.. أنا رجل محظوظ جداً.

قالت لورين ضاحكة وهي تلقي برأسها على كتفه لحظة قصيرة: «من المؤكد أنك كذلك».

لم يكن بحاجة إلى التمثيل، فقد كان يريد لورين كقط في شهر شباط.

أتراه يريدها أن تعلم هذا؟ لا... إنه لا يريد ذلك.

وقال لماركس وابنته تيفاني: «سأتحدث إليكما فيما بعد. تعالي يا حبيبتي، لنشرب شيئاً».

وعندما دخل مع لورين، إلى قاعة الرقص المتألقة، قالت له بعذوبة مصطنعة:

ـ لا أدري لماذا لا تريد أن تشجع تيفاني. إنها تلائمك تماماً... فلديها ثلج في أوردتها أيضاً.

ـ أتراك تتحدينني لكي أثبت العكس؟.

ـ لا، كنت ألقي ملاحظة فقط.

ـ لست واثقاً تماماً من ذلك. هل نسيت أننا سنكون في الشقة بمفردنا عندما ينتصف الليل؟.

توترت ذراعها تحت ذراعه وقالت: «لكنك وعدت...».

فقال بعفوية: «تلك هي «سيندي»! إذا أمكنك أن تنتصري، يمكنك أن تخدعي أي شخص آخر».

«سيندي لاثان»، زوجة رجل آخر من شركائه، لديها دماغ أشبه بشرك من الفولاذ. قام ريس بواجب التعارف بسرعة لكن لورين كانت مرتاحة ساحرة وهي تستدرج سيندي إلى حديث مسهب بمهارة أعجبت ريس.

وعندما كانت لورين تتحدث عن آخر تقلبات سوق الأسهم بدراية

واسعة عما تتحدث عنه، وضع ذراعه حول خصرها، فارتجفت تجاوباً معه. ابتهاج ريس البدائي بالانتصار سرعان ما تحول إلى رماد في فمه.

كانت تمثل. مجرد تمثيل... والأفضل له أن يتذكر هذا... تباً له.

بقيت لورين بجانبه على الدوام. وتصرف ريس كما يشاء. كان العشاء لذيذاً، والحديث الذي ألقاه ناجحاً تماماً، رقص مع لورين طوال الوقت تقريباً، محاولاً بكل ما لديه من إرادة أن يسيطر على نفسه إزاء تقاربهما هذا.

وعندما اقترب الليل من منتصفه، شعر وكأن هذه السهرة دامت ثلاثة أيام. طوّق كتفي لورين بذراعه وقال بشكل حميم: «حبيبتي، أظن أن علينا العودة إلى البيت... هل أنت مستعدة؟».

التوت شفتاها بابتسامة وقالت: «انتظرت هذا السؤال طويلاً».

نظر إلى عينيها وهما تتسعان بينما احمرت وجنتاها. الغرفة خالية ولا يمكن أن يكون ما بدر منها الآن تمثيلاً.. لا يمكن لأحد أن يجعل وجهه يحمرّ حين يشاء، حتى لورين نفسها.

قال بصوت أجش: «فلنذهب إذن».

ولكن كل شخص مرا به أراد أن يحييهما تحية المساء ويشكره لهذه الحفلة، وأخيراً استطاعا الوصول إلى الردهة، فذهب الغلام ليحضر له سيارته. صعدت لورين إلى مقعدها بجانب ريس ومن ثم انطلقا من الفندق.

قالت لورين بفتور: «الحمد لله أن ذلك انتهى. لا أظن أنني تعبت في حياتي بهذا الشكل».

شعر وكأنها قذفت وجهه بماء بارد. إذن فقد كانت تمثل طوال الوقت، حتى احمرار وجهها كان تمثيلاً... قال بصوت خلا من كل شعور: «لقد قمت بعمل ممتاز. الخداع سهل عليك».

ألقت عليه نظرة عدائية:

ـ أنت نفسك لست قليل الشأن من هذه الناحية في أعمالك.

ـ أليست اعتباراتنا الأخلاقية متناقضة؟ أعني بالنسبة إلى كرامة المهنة؟.

ثارت في وجهه: «أنت متعطش إلى المشاجرة بينما المفروض أنني سعيدة جداً بهذا الالتزام أليس كذلك؟ كل شخص في قاعة الرقص تلك يظن أن بيننا علاقة. وعندما أختفي من حياتك في الأسبوع القادم، فسيفترضون أنك ألقيت بي، لأنه طبعا ليس هناك امرأة في عقلها الكامل يمكن أن تتخلى عن إلقاء مخالبها النهمة على ملايينك».

فقال مزمجراً: «في اليوم الثامن سنجمع الناس في وسط مطار فانكوفر ثم تقولين لي أن أذهب إلى جهنم. الشجار عند ذلك لن يكون تمثيلاً، والصحافة ستجدها مناسبة كبرى لأنني أنا من سيكون المهجور».

ووقف بعنف عند الضوء الأحمر. فقالت لورين بصوت غريب: «لكنك تكره الأقاويل».

- ليس بقدر ما أكره التمثيل.

قال هذا وهو يتساءل عما جعله يقول ذلك.

نظر إليها فرأى الغضب قد زايلها، وأخذت تنظر إلى يديها اللتين كانتا متشابكتين في حجرها. ثم قالت بصوت خافت: «في بعض الأحيان لم تكن تمثّل. أتراك ستقفز عليّ حالما نصل إلى بيتك؟ لأنك إذا كنت ستفعل ذلك، فسأخرج من السيارة الآن وأذهب إلى الفندق».

كان قسم كبير من شعرها قد انهار على رقبتها وبدا عليها التعب والتعاسة، فكبح موجة من العطف تملكته، وقال ببرودة:

- أنت ترتدين ثوباً أسود مكشوفاً، رقيق القماش وتلمسينني، ثم تتوقعين مني أن أتصرف كلوح الخشب ذاك الذي تنحتينه؟ إنني رجل طبيعي ذو دم أحمر حار.

- وأنا أيضاً مقبولة الجمال.

إذن فقد لاحظت خداعه ذاك لها.

فقال: «أنا أستعيد كلامي ذاك. إنك حقاً أجمل امرأة رأيتها على الإطلاق».

فقالت: «آه! بالتأكيد».

- إنها الحقيقة!.

رفعت رأسها بحدة، ثم هتفت: «أتعلم ماذا؟ أنا لا أعرف متى تقول الحقيقة ومتى تكذب».

تغير لون إشارة المرور. فتابع طريقه ثم قال بفروغ صبر:

- وهل تظنين أنني كوّنت عنك فكرة كاملة؟.

تنهدت: «ليس هذا مهماً في الحقيقة. أليس كذلك؟ علاقتنا تمثيل بتمثيل... وهذا سينتهي بعد أسبوع، لكنك لم تجب عن السؤال. أتراك ستتحرش بيّ يا ريس؟».

- لا.

كانت أصابعها تتلوّى في حجرها فقالت: «أيمكنني أن أثق بك؟».

قال بغضب بارد: «ليس من عادتي التهجم على النساء».

- اعترف على الأقل بأنني من الذكاء بحيث ألقي أسئلة.

فتلاشى غضبه: «أنا أطول منك بستة إنشات وأثقل وزناً منك بثمانين رطلاً... نعم. الحق معك».

لاحت على وجهها ابتسامة خفيفة: «شكراً لك».

لم يكن شعوره بالمودة نحوها جزءاً من خطته فقال يقمع شعوره: «عشر دقائق ونصل إلى البيت».

- أنت ستكون في البيت، وليس أنا.

- أريحي ذهنك يا لورين.

لم تنطق بعد ذلك بكلمة وراحت تنظر من النافذة وهما يتجهان نحو الحديقة العامة. وعندما أوقف ريس السيارة أمام بيته، قال: «حاولي ألا تظهري أمام البواب أيّ كراهية لي».

دار حول السيارة يفتح لها بابها لتخرج فطوق خصرها بذراعه، وقال للبواب:

- تصبح على خير.

وانغلق الباب خلفهما. عندئذٍ أنزل ريس ذراعه وابتعد عنها. وقال بجفاء:

ـ غداً مساءً هناك حفلة عشاء خاصة، في «شاونيسي هايتز»، مع ستة أشخاص آخرين. . سألبس بذلة عمل فكوني جاهزة في السابعة.

قالت بنفس الجفاء: «سأضع المنبه على الساعة السادسة فلا أنسى».

وكانت تعني أنه من السهل نسيانه.

فتح باب شقته بسرعة، ثم وقف جانباً لتمرّ أمامه. فقالت وظهرها إليه: «سأراك غداً».

قال بسخرية: «أحلاماً سعيدة».

وأخذ ينظر إليها وهي تسرع مجتازة غرفة الجلوس دون أثر لرشاقتها المعتادة. عند ذلك نزع ربطة عنقه، وسكب لنفسه كوباً من الماء، ثم أخذ يستعرض محطات التلفزيون، كل ما كان يريده هو صرف ذهنه عن جمال لورين وسحرها. . .

أما ما يجب عليه ألا ينساه، فهو براعتها في التمثيل.

* * *

٤ ـ صفقة الرغبات. .

في المساء التالي، سارت لورين إلى غرفة الجلوس في بيت ريس في الساعة السابعة إلا ربعاً. الليلة كان ريس هو الذي سيتأخر، كما فكرت بضيق. وحاولت أن تركز ذهنها على لوحة زيتية «لشاردين».

دار المفتاح في القفل ودخل ريس، يعالج نزع ربطة عنقه ويلقي بسترته على أقرب كرسي، ثم رآها، فوقف لحظة جامداً مكانه ثم قال: «أنت في الوقت المعيّن».

ـ أنا لا أتأخر دوماً.

ـ لكنك تجادلين دوماً. . سآخذ «دوش».

لم تكن بحاجة إلى شيء بل بحاجة إلى البقاء رزينة باردة كالحجر طوال السهرة. تناولت دفتر التخطيط الصغير الذي أحضرته من غرفتها وأخذت تنسخ صورة لبيكاسو بضربة بعد أخرى من قلمها. لم يكن ريس كالاهان يعني شيئاً لها. . . لا شيء.

لو كان والاس حياً، لركع أمامها على ركبتيه معترفاً بالجميل. لو كان والاس حياً، لما كانت هنا.

جاء تخطيطها كارثة، وكانت أصابعها باردة فقذفت بالدفتر إلى الكرسي ثم سارت إلى النافذة عمياء عن مشاهد «ستانلي بارك» الرائعة. ثم عاد ريس إلى الغرفة وهو يقفل أزرار قميصه الذهبية، وشعره المبتل مجعد فوق أذنيه.

قالت لورين: «غداً هو دوري في التأخير».

www.elromancia.com

ـ لديك عطلة الليلة القادمة لأنني ذاهب بالطائرة إلى «سياتل» لحضور اجتماع، ولن أكون في البيت قبل التاسعة أو نحوها.

لم تحاول أن تخفي ارتياحها. وقال ريس باختصار:

ـ وفي الصباح التالي سنرحل إلى «ويستلر». لا ترتدي ثوباً كذلك الثوب لأجل الوفد الياباني.

فكرت في أنها لا تريد أن يخبرها بما عليها أن تفعل. لكنها قالت له بصوت رقيق وهي تخفق بأهدابها نحوه: «ألا يعجبك ما ألبس؟ لكنك اشتريته لأجلي. هل نسيت؟ قلت لي إنك لا تستطيع الانتظار حتى نصل إلى البيت و...».

ـ يمكنك أن تكوني ممثلة رائعة في الأفلام. هيا بنا نخرج. مضيفنا اسمه «برايان» وزوجته «بيانكا» وهي المرأة التي تحاول الحصول علي.

تناولت وشاحها الصوفي الأسود عن الكرسي وألقت به حول كتفيها.

قال وهو يدعوها إلى الخروج من الباب:

ـ وضعك هذا الوشاح هو ذكاء منك، لأنه يحميك من الالتهاب الرئوي.

ذلك لأن بلوزتها الخضراء كانت تكشف عن مقدار لا بأس به من جسدها.

قالت بلهجة ملؤها الود: «ما دمت تملك الشيء، يمكنك أن تتباهى به».

ضغط زر المصعد للهبوط ثم قال:

ـ آه، وأنت تملكينه فعلاً.

تصاعد اللون إلى خديها. عندما ارتدت هذه الملابس لم تر فيها شيئاً غير عادي، فلماذا يجعلها ريس كالاهان تشعر بالخجل وعدم الثقة كالمراهقات؟ وتشوّقت إلى أن تنتهي الليلة حتى قبل أن تبدأ. لكم تتمنى أن تصبح وحدها في غرفتها بعيدة عن رجل يقلقها ويثير حنقها. ولكن... ولكن ريس فاجأها إذ أمسكها بكتفيها وضمّها إليه. وانفتح باب المصعد.

قالت بحقد: «البواب غير موجود. كان بإمكانك أن تخرج مباشرة».

تمتم: «هناك كاميرات رجال الأمن، وما أفعله هو لأجلها».

وقالت وهي تهتز: «لقد تأخرنا يا حبيبي».

عندما ابتعد عنها، احتكت ذراعه بها فانحبست أنفاسها وخفق قلبها. لفت الوشاح حول جسدها بسرعة واندفعت راكضة تقريباً نحو سيارته. كيف يمكنها أن تتجاوب مع رجل تكرهه وتخافه؟.

كلمة (باردة) اعتاد ساندرو أن يرشقها بها دوماً، وطوال الأشهر والسنوات التي تلتها لم يستطع رجل من الذين خرجت معهم أن يغريها بإقامة علاقة معه. وكانت النتيجة أنها اعتقدت ما لا مناص منه، وهو أن الرغبات لم تكن لها.

سألها وهو يبدأ بتحريك السيارة: «أنت هادئة جداً».

ارتجفت: «ليس هناك مستمعون».

ـ هل تشعرين ببرد؟.

التفت بوشاحها: «لا. شكراً».

فقال وهو يندفع بالسيارة بين حركة السير:

ـ تبدين أحياناً وكأنك عذراء من القرن الماضي. أليس هذا مضحكاً؟.

شعرت بالدموع تتجمع في عينيها. لكنها لا تبكي أبداً وهي لن تبدأ بذلك مع ريس كالاهان. فقالت بصدق عنيف مفاجىء:

ـ لقد تعبت للغاية من التلميحات الهازئة المشينة للسمعة من رجال صدقوا رواية ساندرو عما حدث بيننا حتى دون أن يسألوني عما إذا كان لديّ أنا رواية مختلفة، لذلك. وأنت مثلهم تماماً يا ريس. فأنا مدانة مسبقاً... وهذا لا يعني أنني أهتم مثقال ذرة برأيك بي.

ثم أدارت وجهها إلى النافذة وأغمضت عينيها. لكنها لم تنم، فقد كان استياؤها أكبر من أن يسمح لها بذلك كما أنها لم تبك. وأخيراً قال لها وهو يوقف السيارة: «لقد وصلنا».

انتصبت جالسة وأخرجت مرآتها تتفقد زينتها. ثم قالت:

ـ سأبذل جهدي هذه الليلة. من أجل والاس فقط. فقط، لا تنس أنني أمثّل.

قال بنعومة خطرة: «لورين... عندما عانقتك شعرت بنبضك يتسارع. وذلك لم يكن تمثيلاً».

قالت بمرارة وهي تخرج من السيارة:

ـ هذا دليل آخر على أنني سهلة المنال... وأن ساندرو على حق.

لاح أمامهما في الظلام منزل فخم كرهته لأول نظرة.

سارت نحو باب ضخم من خشب السنديان فيه. التفتت إلى ريس وعيناها تتوهجان: «أتدري ماذا؟ أنا أكره رؤيتك».

كان جوابه أن دفن يديه في خصلات شعرها وعانقها بعنف. وعندما انفتح الباب الأمامي، تركها ريس بسرعة جعلتها تترنح، وأدارت وجهاً ذاهلاً إلى مضيفهما. ثم قالت بضعف: «لا بد أنك «برايان»».

ومدت إليه يداً ترتجف قليلاً.

بانحناءة أعجبتها، قال «برايان» متجاهلاً اضطرابها:

ـ مرحباً، يا لورين. أهلاً بك في منزل «ستراتفورد هاوس». ادخل يا ريس. آه، ها هي ذي بيانكا، هذه هي لورين كورتني صديقة ريس، يا حبيبتي. أنت من «مانهاتن» أليس كذلك يا لورين؟.

كانت بيانكا امرأة سمراء بدا عليها أنها مستعدة لأن تضربها...

لا بد أن بيانكا رأت ذلك العناق على الدرجات أمام الباب، ذاك العناق الذي ما زال يبعث الدوار في رأس لورين. فقد فاجأها بعناقه ذاك بحيث لم تجد وقتاً للتصرف. ليس في هذا ما يثبت أن تلك الاتهامات الفظيعة التي ألصقها بها ساندرو صحيحة.. باردة، شحيحة العواطف، دون قلب. كانت المشاحنات دائمة الاستمرار بينهما. وكانت هي، في ضعفها، تصدقه.

حاولت أن تتمالك نفسها، آملة أن يكون ريس جاهلاً تجاوبها معه، لأنه عانقها طبعاً أملاً أن ترى بيانكا ذلك. كل ذلك هو جزء من التمثيل.

حاولت جاهدة أن تبدو مرتاحة وهي تقول: «أنا مسرورة جداً للتعرف إليك يا بيانكا».

قالت بيانكا ببرودة تقريباً: «تفضلي بالدخول».

ثم تغير صوتها وهي تضيف: «كيف حالك يا ريس؟ ما أجمل أن أراك! دعني أقدم إليك شراباً، بينما يعرّف برايان لورين إلى بقية الضيوف».

فكرت لورين بدهاء في أن هذا الكلام من باب «فرّق تسد» فتأبطت ذراع ريس وهي تقول:

ـ أنا في الحقيقة عطشى يا بيانكا. فقد كنا مستعجلين كيلا نتأخر. أليس كذلك يا حبيبي؟.

قالت هذا لريس باسمة. كان في عينيه شرر أزرق وهو يرفع أناملها إلى شفتيه، يلثمها بتمهل وسرور وهو يقول:

ـ كانوا يسمونني «السيد المدقق في مواعيده» إلى أن عرفتك. والآن سيري أمامنا يا بيانكا. فسأعرّف لورين إلى المدعوين بعد دقائق.

أدركت لورين أن وجهها قد احمرّ. وفكرت بعنف بأن عليها أن تحاذر من أن تضع لها بيانكا سمّاً في الشراب. عندما تبعا بيانكا إلى المكتبة، غمز ريس لورين بعينه فردت غمزته على الفور وهي تضربه بوركها برفق وتنظر إلى عينيه اللتين أصبحتا قاتمتي الزرقة، عندئذٍ التوت شفتيه الصلبتين بابتسامة ولم تكن عيناه تشبهان الثلج أبداً... أترى ذلك تمثيلاً أم حقيقة؟ رغبة أم خداع؟ وهل هي تريد أجوبة حقاً؟.

بكل ظرف وسهولة اجتماعية، اشتبكت مع بيانكا في حديث. وعندما ذهبوا إلى غرفة جلوس، حُشر فيها الأثاث حشراً... بقيت متأبطة ذراع ريس وهي تنثر ملاحظاتها هنا وهناك مصحوبة بنظرات حب وإعزاز.

كان الطعام ممتازاً والحديث ممتعاً. أُجلست لورين في مواجهة ريس. وعندما تناولت آخر ملعقة من فطيرة التوت، نظرت إليه. وإذا به يضحك لشيء قاله برايان. شعرت وكأنما لم تره قط من قبل.. انطبعت صورته في ذهنها. أسنانه البيضاء ووجهه الأسمر الذي ينطق بالقوة والذكاء، وخصلة

شعره الأسود التي تدلّت على جبهته، ورجولته الفياضة التي تنضح مع كل حركة من حركاته... كان وسيماً جذاباً، رجلاً بكل معنى الكلمة. ما الذي جعلها تظنه يشبه سمكة باردة؟.

فكرت في أن سبب عدم تأملها له من قبل كان من باب حماية النفس. فلو تأملته جيداً من قبل، لما قبلت الدخول معه في هذا المشروع.

بعد ستة أيام ستكون على ما يرام. طبعاً ستكون كذلك... انتهت الحفلة الساعة الواحدة صباحاً، وكان ريس ولورين آخر الخارجين. ومرة أخرى، تمسكت لورين بلقب «المتشبّثة»، محبطة ببراعة محاولة بيانكا أن تنفرد بريس. وحالما أصبحا في سيارته وانغلق الباب، قالت:

ـ أنت مدين لي يا رفيقي، بهذا الوقت الرائع.

فقال ضاحكاً: «هل سبق أن مثلت دور مشوّشة في مباراة كرة قدم؟ كنت ستظهرين طبيعية تماماً».

فقالت دون احتراس: «أنت من يملك البنية المناسبة للعب كرة القدم».

ـ لا تخبريني أن ذلك مديح.

ـ هذا ما أتصوره.

ـ الحقيقة يا لورين أن عملك كان رائعاً هذه الليلة. فقد منعت بيانكا من أن تأكلني حياً، هذا دون أن يدرك أحد ما كان يجري. شكراً لك.

فقالت بابتسامة وقحة: «أليس هذا نداء الواجب؟».

وأخرجت قدميها من حذائها الأنيق ثم تنهدت بارتياح:

ـ هذا أحسن.. كادت قدماي تقتلانني. أخاف أن أخلع حذائي في حفلات العشاء منذ سرق شخص ما حذائي في حفلة استقبال ذهبت إليها مرة. وقتذاك اضطررت للخروج حافية القدمين وأنفي في السماء، وكأن الذهاب حافية إلى الحفلات هي آخر «موضة».

ألقى ريس رأسه إلى الخلف مقهقهاً من أعماقه:

ـ أعدك بأن أحميك دوماً من لصوص الأحذية، يا حبيبتي لورين.

حبيبتي لورين... وقالت متكلفة: «هذا لطف بالغ منك يا ريس».

أخذ يسألها، وهو ما يزال يضحك، عن حفلة الاستقبال تلك، ثم تشعب بهما الحديث إلى مسرحية في برودواي كانا شاهداها هما الإثنين. ودون أن تدري وصلا إلى الشقة ففتح باب السيارة بجانبها ثم مال إلى الإمام يحملها بين يديه متوجهاً إلى الردهة. فقالت: «أنزلني».

ـ قدماك تؤلمانك. هذا أقل ما يجب عليّ عمله بعد انقاذك لي من بيانكا.

قال هذا وابتسم للبواب. انفتح باب المصعد ثم انغلق.

وفي جدرانه المذهبة اللامعة، رأت لورين رجلاً طويلاً أسمر يحمل امرأة شعرها منسدل على كمه. ورأت نفسها ترتجف.

وفكرت بذعر في أنها لا ترغب فيه. هذا غير ممكن. فهذه اتفاقية عمل ولن تدوم سوى بضعة أيام فقط. لذا يجب عليها ألا تتورط بعلاقة على كل حال. إنها تكره العلاقات العابرة.

وتلوّت بين ذراعي ريس: «يمكنك أن تنزلني الآن. فلا أحد يرانا».

شدّد ضغطه عليها: «لا صلة لعملي هذا بالبواب».

قال هذا وهو يخرج بها من المصعد ثم يسير بها على السجادة السميكة. وقف يفتح الباب ثم عاد فأغلقه بقدمه. وقال بصوت ثخين: «كفى تلوّياً، هذا يفقدني عقلي».

فازدادت تلوّياً: «ريس... أنزلني».

انزلها بسرعة، ثم وضع ذراعيه حولها وعانقها بعاطفة محمومة.. جمدت لورين بين ذراعيه كدمية من الخزف. وكان يعانقها للمرة الثانية. ولكن هذه المرة لم تكن هناك بيانكا ليؤدي أمامها هذا الدور. كانا وحدهما في شقة خالية. ولم يكن يمثل هذه المرة...

أخذ قلبها يخفق عالياً، وهو يعانقها وتمسكت بكميه وبادلته عناقه وهي تتساءل عما إذا كان سيغمى عليها.

ما أحدثه هذا العناق في نفسها كان أكثر مما هي مستعدة له. وذاب قلبها كما يذوب الثلج على النار واشتدت ذراعاه حول خصرها.

وقال بصوت أجش: «يا جميلتي لورين..».

ثم حملها مرة أخرى بين ذراعيه.

خلال عينين بهرهما الشوق، أدركت أنه يحملها عبر الغرفة، إلى حيث غرفة نومه. فتح الباب يدفعه بقدمه، ومرة أخرى رأت التمثال البرونزي الرائع أمام الجدار الأخضر الداكن.

بدا السرير ضخماً، وهذا ما جعل لورين تجد أخيراً صوتها، لتقول: «ريس... ما الذي يحدث؟».

أوقفها على الأرض بحيث كانت بين ذراعيه، وقال بصوت أبح: «أنت حيث هو مكانك».

فقالت: «لكننا...».

تمتم يقول: «أردتك حالما رأيتك تدخلين مكتبي. لماذا إذن اقترحت هذه الصفقة الجنونية بيننا؟».

تجمد جسدها. وانحى كل شيء من نفسها فجأة بسرعة رهيبة. ثم شهقت وهي تدفع رأسها إلى الخلف: «لكنك عند ذلك كنت تصدق ساندرو. قلت هذا بنفسك».

فقال بصوت ثخين: «ليس هذا وقت الكلام. أريدك... أريدك...».

أخذت تهذر قائلة:

ـ وأنا الآن أثبت أنك على حق أليس كذلك؟ أثبت أنني سهلة المنال، وأنني دون مبدأ في علاقاتي. لم أعرفك إلا منذ أربعة أيام وها أنذا على وشك أن أنتهي في أحضانك.

فقال بفروغ صبر: «لكنك، بحق الله... لا شك أنه كان لديك عشاق».

ـ لا. لم يكن لديّ عشيق يوماً. لقد أخبرتك أنه لم يكن لديّ.

قال بضجر: «وماذا يهم هذا؟ نحن مخلوقان لنكون معاً. أنا أعرف ذلك، ولا أهمية لأي شيء آخر».

شعرت بقلبها الآن وكأنه مغلف بالثلج: «أتظن أن تصديقك أو عدم تصديقك لي بأنني فتاة مختلطة العلاقات دون مبدأ، أمر لا أهمية له؟».

ـ إذا اتخذت عشاقاً آخرين، يا لورين، فهذا لا يعني أنك مختلطة العلاقات ودون مبدأ.

صرخت وهي تبتعد عنه: «أنت لا تصدق كلمة مما أقول. أليس كذلك؟».

فقال بخشونة: «لن نتزوج بعضنا بعضاً».

ـ لا. بل هي قضية ليلة واحدة، أو أسبوع.

وجاهدت لكي تلتقط أنفاسها بسبب الألم الذي اعتمل في صدرها: «لا بد أنني مجنونة لأنني عانقتك.. لماذا فعلت هذا؟».

فقال: «لأنك أردت هذا».

صمتت فقال متجهماً: «أنت، على الأقل، لا تبالين بإنكار ذلك».

غصت لورين بريقها وهي تجاهد لتجد الكلمات التي قد تعيدها من الهوة التي أوشكت على السقوط فيها.

أسهل شيء عليها هو أن تهرب إلى بيتها في أسرع وقت ممكن. لكنها إذا فعلت ذلك فستحطم سمعة والاس الطيبة. فقالت ببرودة:

ـ سأقوم باستضافة زوجات اليابانيين بصفتي مضيفة وليس بصفتي حبيبتك وهذا ما سيكون عليه الحال أيضاً في نادي اليخوت. وبكلمة أخرى، يمكننا، أثناء المدة الباقية لنا معاً، أن نكف عن التمثيل. وبعد ذلك سأخرج من هنا نهائياً.

قال وعيناه كشظيتين من زجاج: «أنت تحرقين جسورك يا لورين، يمكنني أن أكون نافعاً لك. فأنا أعرف كثيراً من الأغنياء الذين يمكنهم أن يساعدوك في نفقات منحوتاتك».

فقالت بمرارة: «بضعة استثمارات. لا، شكراً. لقد شققت طريقي في العالم حتى الآن. وسأتابع ذلك».

ـ بمساعدة من ساندرو ووالاس؟.

قالت بغضب: «هذا صحيح. عاقبني على أخطائي فأنت لا تخطىء بالتأكيد. أليس كذلك؟ فلست بشراً مثلنا معرضاً للخطأ. وأنا أراهن على أنك لم تقترف خطأ واحد ندمت عليه من كل قلبك».

غرز أصابعه في لحمها بقوة وقسوة، ثم انفجر يقول بانفعال:

ـ أخبرتك أن تبقي بعيدة عن حياتي الخاصة. ولكن هل تصغين؟ أنت...

قالت مذهولة: «إذن فقد اقترفت أخطاء... وأخطاء ضخمة، وهذا واضح من مظهرك».

قال: «أنا...».

قالت متوسلة: «ألا تخبرني عنها؟ أرجوك».

فقال هائجاً: «لن أفعل، تباً لك. لا شأن لك بهذا».

ودفعها عنه وكأنه لا يطيق أن يلمسها، ثم مسح راحتيه بجانبي بنطلونه.

صرخت وقد جُرحت في الصميم: «الحمد لله لأنني لم أنجرّ معك... اذهب الى امرأة أخرى فأنا أستحق أكثر من ذلك. أريد رجلاً يشاركني الحب، روحاً وجسداً».

عضت شفتها وهي تتساءل من أين أتتها هذه الكلمات التي خرجت من أعماقها بكل ثقة، وتابعت: «سأكون جاهزة صباح الثلاثاء للذهاب إلى «ويستلر». وفي نفس الوقت لا أريد أن أراك».

قال بصوت قبيح: «ستبقين هنا الليلة وليلة غد. وإلا بطلت الاتفاقية».

قالت بحدة وهي من الغضب بحيث لم تعد تهتم بما تقول:

ـ أنت مثل ساندرو بالضبط، تعشق السلطة. فكيف بإمكانك أن تغرم بامرأة عادية؟ امرأة ذات كرامة ومشاعر؟ لن أكون لك ولو كنت آخر رجل في العالم.

وعندما استدارت خارجة، لم يحاول أن يمنعها. فعادت إلى غرفتها

شاعرة وكأن شاحنة سارت فوقها ثم أغلقت الباب واستندت إليه. رغم كل هذا الترف والأناقة، شعرت وكأنها في سجن.

بقي أمامها ستة أيام فقط. ستة أيام وست ليال. وكانت الليالي هي التي تقلقها. وكأن ساندرو لم يقنعها مرة بعد مرة، بأنها امرأة باردة لا مشاعر لها... امرأة فاشلة.

لقد تعلمت درساً. فهي لن تضع إصبعاً على ريس من الآن فصاعداً.

ولكن ليس بإمكانها ذلك، خصوصاً وأن التمثيل يمكن أن يتحوّل بسهولة إلى حقيقة.

* * *

٥ ـ خائفة من شيء اسمه «الحب»

زاولت لورين عملها في اليوم التالي وكأنما تقمصتها روح شريرة. وعندما حانت الساعة السابعة أدركت أن عليها أن تتوقف. أصبح تمثال الأم والطفل مكتملاً قدر إمكانها، والآن عليها أن تبعده عنها لمدة شهر، ثم تعيد النظر إليه لترى إن جاء كما ترجو.

وبحذر غطته بمنشفة من الحمام. وكعادتها دوماً عندما تنهي قطعة، شعرت بالإنهاك والتململ. يمنعها الخوف من أن تستقر على شيء، ويمنعها التوتر من النوم. ولكنها كانت تعرف شيئاً واحداً وهو ألا تكون في الشقة عندما يعود ريس من «سياتل».

اتصلت بتشارلي على الفور: «هنا لورين. هل أنت خالية لكي أزورك».

ـ تسرني رؤيتك جداً. أتحبين طعام مطعم «زكوان» فأنا لم أتناول العشاء؟.

كان هذا ما تحتاج إليه لورين بالضبط... مطعم مزدحم وطعام لذيذ فقالت: «فكرة رائعة».

اتفقتا على اللقاء في «شيناتاون»، ثم ذهبت لورين لتأخذ «دوش»، وبعد ساعة، كانت وتشارلي جالستين في مطعم خافت الأنوار ترشفان الشاي الصيني، وتأكلان لحماً مطهياً ببهارات حريفة.

قالت تشارلي: «لا بأس يا لورين. قولي ما عندك. ما هو شعورك

وأنت تمثلين دور حبيبة أغنى رجل في المدينة؟».

فأجابت: «أنا لست حبيبته أبداً».

قالت شارلي بدهاء: «إذن أصبحتما متقاربين. وهذا لا يدهشني... فأنا أعرف ريس كالاهان فهو رجل ديناميكي».

ـ إنه متغطرس وطاغية عنيد لا يعرف الفرق بين الحقيقة والكذب، خصوصاً إذا كان المتحدث امرأة.

فعبست تشارلي: «إذن هو يصدّق قول ساندرو عن ماضيك».

قالت لورين: «صحيح».

وكادت تختنق بالصلصة فسارعت تبتلع بعض الشاي. ثم تابعت تقول:

ـ ولكن هذا في الحقيقة غير مهم. خمسة أيام أخرى وأصبح حرة في الذهاب إلى بيتي.

ـ بل هو مهم بالنسبة إلى مظهرك.

وكانت تشارلي صديقة قديمة موثوق بها. فقالت لورين بفتور: «أيمكنك أن تصدقي أنه أشعل مشاعري؟ ما الذي حدث لي؟».

قالت تشارلي: «سبق أن أخبرتك أنه «رجل رائع».

قالت لورين: «كنت ألمح أحياناً إنساناً حقيقياً مدفوناً في داخله... ولكنه كان لا يلبث أن يقوم بشيء يجعلني غاضبة للغاية».

فأخذت تشارلي تضحك بقسوة:

ـ لقد حان الوقت لكي تهتمي بالجنس الآخر.

قالت لورين ساخطة: «لكنني لم أتوقف عن الخروج مع الشبان قط».

قالت تشارلي: «أولئك شبان مأمونو الجانب. يمكن التنبؤ بهم مسبقاً. ألم يحدث قط أن صادفت رجلاً أثار غيظك ومع ذلك أحببته؟».

قالت لورين بصوت منغّم: «لن أحب ريس».

قالت تشارلي: «وما الضرر في ذلك».

قالت لورين دون تفكير: «هذا صعب...».

ثم عبست وبان الذعر عليها: «أيمكنك أن تصدقي أنني أقول كلاماً كهذا؟».

ـ يمكنني ذلك.

ـ وإن أحببت ريس فإلى أين سيصل بي حبي؟ بعد السبت القادم سيذهب كل منا في طريقه.

بدا الجد فجأة على وجه تشارلي، ووضعت يدها على معصم لورين وقالت:

ـ ربما كان عليك أن تتركي الحرية لقلبك... دعيه يحبّ إن أراد، لقد حان الوقت لكي تخرجي من السجن الذي وضعك فيه ساندرو. لقد تركته يقود حياتك فترة أطول مما ينبغي. كان ساندرو وسيماً ساحراً داهية، ذا غرور بحجم ناقلة بترول.. وأنت تستحقين أكثر من السير في أعقابه بقية حياتك.

ـ وصفك لساندرو ينطبق على ريس كالاهان أيضاً.

ـ إنهما مختلفان كالليل والنهار. وأنت تعلمين هذا.

ـ ريس أكثر وسامة إذن.

ـ كان ساندرو فارغاً في داخله، أما ريس فليس كذلك أبداً. هذا هو الفرق.

قالت لورين دون اقتناع:

ـ تبقى حقيقة أنني كنت مأسورة لساندرو، وأنا لست مستعجلة لتكرار غلطتي.

ـ طبعاً كنت مأسورة له، فهو معلّمك. وهو موهوب، ومتفهم للآخرين. وكنت صغيرة جداً عندما عرفته، فلماذا لا يأسرك؟.

تنهدت لورين بحزن: «أنا خائفة من أن أعود فأثق بغريزتي.. أنا خائفة من أن أثق بالرجال، كيلا أتألم مرة أخرى».

ـ لكنك تقومين بمجازفات كثيرة في عملك. ألا يمكنك أن تتوسعي في ذلك ليشمل الرجال في حياتك؟.

ـ ربما أفعل هذا عندما أعود إلى نيويورك.

ـ يمكنك أن تبدئي هنا في فانكوفر.

قالت لورين: «هل أنت جادة، يا تشارلي؟ أتنصحينني حقاً بأن أتعلق بريس؟».

ـ نعم.

ـ إنها وصفة أكيدة للمصائب.

ـ وربما ستجدين أنك ستحبين ذلك.

لم تكن هذه لحظة ملائمة لكي تتذكر لورين كيف ذابت بين ذراعي ريس، وكيف عانقها.. وأخذت جرعة أخرى من الشاي، آملة أن يُفسِّر توهج وجهها بسبب الصلصة الحريفة. وقالت تشارلي باعتداد: «لقد قلت ما عندي».

فقالت لورين: «ولم تغفلي شيئاً أليس كذلك؟ ولكن كيف يمكن أن تتحرك مشاعري لرجل أكرهه بهذا الشكل؟».

ـ هذا سؤال جيد وربما أجد جوابه بعد أن أنهي طبق البط بالكاري.

ـ ما كان ينبغي لي أن أغرقك بكل هذه التفاهات عن ريس، يا تشارلي.

ـ لم تكن هذه تفاهات، وأظن أن عليك أن تتمسكي به. أنا أثق بغريزتي وهي تخبرني بأنه يختلف جداً عن ساندرو.

قالت لورين مفكرة: «ربما عليّ أن أحاول ألا أفقد أعصابي معه كثيراً».

ومدت يدها إلى فاتورة الحساب وهي تنظر إلى ساعتها:

ـ آه، الحادية عشرة والنصف. وهذا غير ممكن.

وهكذا، عندما وضعت لورين المفتاح في قفل باب شقة ريس كانت الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً، وقبل أن تدير المفتاح، كان الباب قد انفتح على مصراعيه، وريس يقول بغضب بالغ:

ـ أين كنت بحق الله؟.

كان يرتدي بنطلون جينز وقميصاً مفتوح العنق، وكان شعره مبتلاً وعيناه لهيباً أزرق. ورأت لورين بياضاً حول الفم. فقالت بحيرة: «في

الخارج مع شخص ما. ما الخبر؟».

أمسك بذراعها وسحبها إلى الغرفة:

ـ لأجل الله، هل أنت بخير؟ وأين كنت بحق الله؟.

لم تكن تحب استعمال القوة معها، ولم يحدث لهذا هذا منذ أيامها مع ساندرو. ولكن عندما تذكرت ما اعتزمته قالت بكل ما أمكنها من الهدوء:

ـ كنت أتعشى في حي شيناتاون.

ـ لماذا لم تتركي لي ورقة تخبرينني فيها بمكانك؟.

ـ لأن هذا لم يخطر ببالي. اترك ذراعي.

ـ لم تكن لدي فكرة عما كنت تقصدينه؟.

ـ ريس. أنا في السابعة والعشرين. ولست أنت حارسي.

ـ هل كان صديقاً أم صديقة من كنت معه؟ وما اسمه؟

ـ بل صديقة. وما شأنك أنت؟.

ـ ها قد عدنا نصرخ ببعضنا البعض مرة أخرى. لورين، لقد ظننت حقاً أن شراً أصابك.

كان فكه متوتراً، وكتفاه متصلبتين توتراً. فقطبت جبينها: «شرّ؟».

ـ هذه مدينة كبيرة يمكن أن يحدث فيها أي شيء. في المرة القادمة اتركي لي ملاحظة رجاءً.

ـ لا ينبغي أن تقلق عليّ، فأنا أعيش في «مانهاتن» ومعتادة على الشوارع المزدحمة.

ـ أنت امرأة جذابة للغاية وتحملين حقيبة تحتوي على كيس نقود، صحيح أننا لسنا في نيويورك، ولكن لڤانكوڤر نصيبها من الجرائم.

ـ تريد إذن أن تسافر إلى «سياتل» بينما أنا أجلس هنا في الشقة أنتظر عودتك؟ لقد حصلت على المرأة غير المناسبة.

ـ أتظنينني لا أعرف هذا؟.

ـ ولكن ليس لمدة طويلة. بقي «ويستلر» و «نادي اليخوت» ثم تعانقني عناق الوداع.

وغلبتها روح النكتة، فأضافت: «من باب المجاز طبعاً».

فقال ثائراً: «دعي (مجازك) هذا. أريد أن أعانقك الآن في هذه اللحظة وأنا أعني هذا حرفياً».

فهبّت تقول: «هذا لأنني سهلة المنال».

ـ بل لأنك تجعلينني أقول أشياء ليس في نيتي أن أقولها، ولأن لمعان شعرك وسحر عينيك يخرجانني عن عقلي.. ولأنك أفسدت عليّ منهاج تفكيري وحياتي البالغة التنظيم وسيطرتي الكاملة عليها. ما رأيك في ذلك؟.

فقالت: «آه».

تخلل شعره المشعث أصلاً بأصابعه وقال: «كنت واثقاً بأنك لن تتخلي عن اتفاقيتنا دون أن تعلميني، ولهذا اعتقدت أنك تعرضت لبعض المشاكل. ولكن لم يكن لدي فكرة من أين أبدأ بالبحث عنك».

تحرك شيء في أعماقها. فقالت: «هل قلت إنك تثق بي؟ بالنسبة إلى الاتفاقية؟».

فقال بجفاء: «قد تتخلين عنها أثناء إحدى مشاجراتنا، ولكن أن تتسللي هاربة أثناء غيابي، فهذا ما لا تفعلينه».

ـ كنت سأعود إلى البيت قبل الآن، لولا انشغالي بالحديث مع صديقتي. آسفة لتسببي لك بالقلق يا ريس... لم أقصد هذا.

استدار مبتعداً متوجهاً إلى غرفة الجلوس. وقال: «أنا بحاجة إلى شراب. أتريدين شيئاً؟».

ـ طبعاً، أريد كوباً من عصير الليمون.

ومرت بأصابعها دون وعي، على تمثال نحاس: «ما زلت لا أفهم لماذا استأت إلى هذا الحد. بالتأكيد لم تستأ من أجل كرامة زرقة عيني... فما السبب إذن؟».

ـ دعي عنك هذا.

ـ تعرف جيداً كيف تغلق الأبواب في وجوه الناس.

ـ على ذكر غلق الأبواب، دخلت إلى غرفتك لأبحث عنك. التمثال

رائع يا لورين.

لم يعجبها دخوله إلى غرفتها. لكنها سبق أن فقدت أعصابها معه أثناء الخمس دقائق الأخيرة، وهي لا تريد تكرار ذلك، فقالت: «كان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعلني أخرج... لأنني أشعر دوماً بفراغ كبير حين أنهي نحت قطعة».

فقال وعيناه مركزتان كعيني الصياد: «وهكذا، إلى إلى أين سنذهب من هنا؟».

قالت متلعثمة: «إلى «ويستلر»؟ إلى أين إذن؟».

ـ أنا لا أتحدث جغرافياً.

ـ في تلك الحالة، لسنا ذاهبين إلى أي مكان.

ـ يمكننا أن نفعل ما يدخل البهجة إلى قلبينا الآن معاً.

اهتز قلبها بضيق: «لا يا ريس. لن أفعل هذا. لقد اتفقنا على أن تكون حبيبي أمام الناس فقط».

ـ ولماذا تمنحيني الأمل إذن؟.

ـ أنت تظن ذلك.

ـ فلنترك التمثيل. أنا أريدك.. ولكن تباً لي إذا كنت سأسبغ على ذلك أشياء لا أشعر بها.

ـ أتعني النظرات الولهى وكلمات الحب والإغراء؟ كما كنا نتصرف أمام الناس؟.

ـ بالضبط.

ـ ريس. هل أحببت قط في حياتك؟.

فقال مكشراً: «لم يحدث ذلك منذ أن كنت في السادسة عشرة ففي ذاك العمر أحببت بجنون فتاة كانت جارتنا».

ـ وهكذا، لم تمنح في سن الرشد نفسك، روحاً وجسداً، لامرأة قط.

ـ لم أفعل طبعاً.

رفعت حاجبيها برقة بالغة: «لم تفعل طبعاً؟ ربما عليك أن تجرب ذلك

ذات يوم، وأنا أضمن لك أن يقلب هذا حياتك التي تسيطر عليها، رأساً على عقب».

بتمهل بالغ، مرّ بإصبعه على خدها وأخذ يراقب عينيها، ويقول:

ـ علاقتنا ستكون رائعة، لكنني لن أدعوها حباً، ولا غراماً شاعرياً.

ـ أنت لن تدعوها شيئاً، لأنها لن تحدث.

ـ يمكنني أن أقنعك.

تراجعت خطوة لا إرادياً: «منذ متى قالت لك امرأة لا؟ منذ وقت طويل، كما هو واضح».

ـ إذا كنت تظنينني سأتوسل إليك، فأنت مخطئة.

تملكها الإرهاق فجأة، وقالت بصوت خافت منهك: «لقد نلت الكفاية من هذا المأزق. متى سنرحل في الصباح؟».

فقال باختصار: «كوني جاهزة في العاشرة».

ـ حسناً، سأراك حينذاك.

واستدارت لتخرج. لكنه قال: «نحن سواء أكان مأزقاً أم لا، لم نفرغ من بعضنا بعضاً».

التفتت من فوق كتفها. كان واقفاً بجمود تام، والمصباح الذي بجانب الأريكة يلقي بقعاً من الضوء على وجهه القوي الملامح. وكادت قوة إرادته تعصف بها، فقالت:

ـ حتى أرى أنك تصدقني.. وحتى تصدق أنني لم أكن قط مختلطة العلاقات كأية بنت هوى، وأنني لم أقم علاقة مع أحد قط... سأبقى بعيدة عنك.

وأزاحت خصلة من شعرها عن وجهها وتابعت تقول:

ـ ألا ترى؟ الحقيقة هي ما أسعى لإظهارها في أعمالي. ولهذا هي مهمة عندي لأقصى حد... وإذا ظهر من كلامي وعظ أو اعتقاد بأفضليتي على غيري، فأنا آسفة.

كان يحدق إليها بصمت ضغط على أعصابها ما جعلها تنهي ذلك

بقولها:

- وأرجو منك أيضاً أن لا تظن أنني سأقع بين ذراعيك كخوخة. . أنا بصراحة، لا أريد أن أتورط معك.

- أنت الآن تكذبين حقاً.

كلما ازداد كلامه هدوءاً، ازدادت خوفاً منه.

فقالت: «لقد عقدنا صفقة. وعلينا أن نلتصق بها مرغمين».

- أنت لا تتراجعين، أليس كذلك؟.

- أتريد مني أن أركع أمامك وأذل نفسي؟.

انفجر ضاحكاً فجأة فبانت أسنانه البيضاء: «من الصعب أن أتصور ذلك».

قالت متوترة: «إذا كنت سأمثل أنني أحبك، فليس هناك مشكلة في شيء من الإذلال. سأكون جاهزة الساعة العاشرة».

- لورين، الأمر ليس كله تمثيلاً، بالنسبة إلينا نحن الإثنين.

لم تكن تريد أن تخوض في هذه النقطة، فألقت عليه تحية المساء ببرودة، ثم اندفعت إلى غرفتها بأسرع ما تستطيع. وعندما خلعت ثيابها في الحمام، بحركات متوترة مشوّشة، دارت بها الأفكار في كل ناحية، محدثة نفسها بأنها تستطيع مقاومته، وأنها لن ترضخ له، مع أنها تريده. .

وأثناء ذلك وقعت عيناها على انعكاس صورتها، في المرآة الطويلة على الجدار، فانتصبت واقفة ببطء، وهي ترى، ساخرة، أنه تمثال لامرأة حانقة، أو، بالأحرى، امرأة محبطة.

ارتدت قميص نومها، وأخذت تنظف أسنانها ونبضها يتسارع بشراسة. ثم قفزت إلى سريرها وشدت الغطاء إلى ما فوق رأسها.

لن تفكر في ريس. ولم يبق سوى خمسة أيام.

***

ركبت لورين الهيلوكوبتر التي كان يقودها ريس بنفسه، مارين بسلسلة من الجبال المكللة بالثلج، تابعين الطريق العام المتعرج إلى المنتجع

بشاليهاته وأكواخه الأنيقة في سفح جبلي «بلاكومب» و «ويستلر».

تأرجحت الهيلوكوبتر نحو المرتفعات الأقل علواً لتهبط بعد ذلك برفق خلف منزل مبني من الحجر ومن خشب الأرز الملوّن. . خرجا من الطائرة. وفي غمرة الصمت، قال ريس بلهجة واقعية:

- مورين وغراهام يعتنيان بالمكان. لدي اجتماع طوال فترة بعد الظهر. وقد رتبت أمر سياحة في القرية للزوجات. وهكذا أنت حرة إلى الساعة السابعة والنصف، وللسهرة أرجو منك أن ترتدي ثوباً محتشماً يغطي جسدك.

- يا له من مفهوم!.

لوى شفتيه وقال: «وغداً سيكون عملي في مكتبي هنا، إذ لدي بعض الأعمال التي تأخرت عن إنجازها وسنعود إلى جزيرة ڤانكوڤر غداً صباحاً».

كان الجو عابقاً بروائح الصنوبر والطحالب. وكانت تعشق دوماً العيش قرب الجبال. هذا إلى أنها كانت قد أخبرت تشارلي أنها ستحرص على عدم فقدان أعصابها كثيرا، وهكذا قالت بإخلاص:

- هذا مكان رائع يا ريس. وأنا مسرورة لوجودي هناك.

نظر إليها من فوق إلى تحت، من كنزتها الضخمة الحجم إلى البنطلون الجينز المحكم على ساقيها، ثم قال بصوت أجش:

- الشمس متجمعة في شعرك فبدا أشبه بمزيج من النحاس والبرونز.

- ليس هنا من يسمع، فأنت لست مضطراً لمثل هذا الغزل.

- أنا أقول هذا لأنني أريد أن أقوله ولأنه صحيح.

فهتفت تقول: «هل تعتقد أن ما أقوله صحيح عن أنني لم أتخذ صديقاً قط بمن فيهم ساندرو».

فتردد، ثم قال:

- لقد ابتدأت أعتقد ذلك. نعم.

- إلى أن تتوقف عن المراوغة في أجوبتك عليك أن تحتفظ بمجاملاتك لنفسك.

فانفجر يقول بشكل مفاجيء: «أنت تختلفين تماماً عن كل من عرفت من النساء.. إنني أذهب إلى أماكن. حيث الوفاء يعتبر شيئاً رجعياً، والشؤون العاطفية جزء من الاحتفاء بالضيف».

شعرت بطعنة غيرة فتملكها الذعر لذلك، وسألته:

ـ وما مقدار انسجامك أنت مع ذلك الجوّ؟.

تغيّر شيء في وجهه: «في السنوات القليلة الأخيرة لم أعد أنسجم معها. تعبت من كل هذه الأمور، لكنني تعلمت درسي وهو أن ألوّح بثروتي أمام المرأة فتلاحقني، أنفق نقودي عليها فتصبح لي».

ـ دعني أخبرك عن أول درس تعلمته في مدرسة الفنون، وهو أن المال لا يشتري موهبة، لأنها هبة. وهكذا أموالك لا تنفعني.

ـ أنا أستوعب هذه الرسالة طوال الوقت.

ومرة أخرى تردد ريس وقد بدا، على غير عادته، غير واثق من نفسه:

ـ إذا أبقينا ساندرو بعيداً عن المعادلة، يبقى هناك والاس الذي ارتكب جرماً، يا لورين. والبراهين لا تحتمل الجدل، لا أريد منك أن تظني أنني لفقت كل ذلك.

تراجعت خطوة إلى الخلف: «لا يمكن أن يفعل ذلك، وأنا لا أصدق هذا عنه».

ـ إذن فأنت لا تصدقينني... وأنا غير مستعد لأن أصدقك.

تألقت الشمس على قمم أشجار الصنوبر، وغرد عصفور على شجرة. وقالت بتعاسة: «لقد تعبت من الشجار معك طوال الوقت، لأن هذا لن ينتهي بنا إلى شيء. ألا يمكننا أن نحقق الصفقة فقط ونترك الأمر في حدود ذلك؟».

ـ لا أدري إن كان يمكننا هذا؟.

ـ طبعاً يمكننا.. أراك في السابعة والنصف وسأكون مثالاً للحشمة.

ـ أهذه ألفباء اتفاقيتنا؟ أين العزم والجمال والثقة؟.

وضحك لها: «وهذا لا يعني أن علينا أن نغفل البهجة والشوق والنار

المتقدة».

فقالت: «وإثارة الغضب، والتسلّط والتحكّم. هذا عنك طبعاً».

فضحك: «وكذلك هناك الحرمان والإحباط غير العادي».

فقالت عابسة: «هذا ليس غريباً عني اسألني أنا عن ذلك».

دس يديه في جيبيه: «أتعرفين ماذا؟ أنت تعجبينني».

كان النسيم يعبث بشعره. وكان يبتسم ابتسامة ساحرة، لكنها قسّت قلبها وقالت: «لا يمكنك أن تعجب بامرأة كذابة مختلطة في علاقاتها».

فقال بحدة: «وهل المفروض أن أصدق أنني أول رجل يشعل فيك المشاعر الهاجعة؟ بينما تبدين لي الكراهية معظم الوقت؟».

قالت بتجهمة: «نعم، رغم أنه يبدو بعيداً عن التصديق. انظر إلى نفسك في المرآة أحياناً. أنت رائع ولديك بنية مميزة، والقوة والثقة تتدفقان منك. كان عليّ أن أكون تمثالاً من الحجر لئلا أتأثر بك».

فقال بنفس ضيقها: «لا أدري لماذا أشعر وكأنهم يعتبرونني مركزاً للجاذبية؟ وشخصاً كفيلاً بإشعال المشاعر في النساء؟».

فصرخت: «وهو صحيح، لكن مشكلتي هي مع شخصيتك. من غير الممكن أن يكون والاس سرق منك. لن أقبل هذا أبداً. فكيف يمكنني أن أثق بشخص يعتقد بأن الإنسان الوحيد الذي عاملني بطيبة ورفق هو لص».

ـ ربما هو يملك هاتين الصفتين معاً. طيّب ومخادع.

فقالت بيأس: «نحن نسير في حلقة مفرغة، وأنا واثقة من أن لديك عملاً أهم من الوقوف هنا لتجادلني».

ـ هذا صحيح. الساعة السابعة والنصف تماماً يا لورين.

ثم ارتدّ على عقبيه وغاب بين الأشجار تاركاً لورين مع النسيم العطر والقلب الفارغ.

وفي السابعة والنصف وجد ريس لورين في غرفة الجلوس المطلة على الجبال والسماء التي كانت تحتوي على مدفأة من الغرانيت وتمثال ضخم لحوت مفترس من صنع «هايدا».

ولم يدهش وهو يرى لورين واقفة أمام الحوت ورأسها إلى جانب.

قال: «صنع هذا نحات شاب من جزائر «الملكة شارلوت». ما رأيك؟».

فقالت برقة: «إنه رائع. مع أنه رمزي بشكل واضح، إلا أنه يتدفق بالحياة».

كان هذا بالضبط ما فكر فيه حين رآه لأول مرة. ولأنه شعر بالاستياء لهذا التماثل في الأفكار الذي يمكن أن يكوّن بينهما صلة أقوى من أية صلة جسدية، قال آمراً: «دعيني أنظر إليك».

استدارت والأسف والاحتجاج في عينيها. كانت تعلو سروالها الأسود سترة برتقالية مطرزة، ذات ياقة عالية وكمين طويلين. وكان شعرها عبارة عن ضفيرة طويلة مرسلة على ظهرها. ولم تكن زينة وجهها ثقيلة بل خفيفة جداً. قال محاولاً أن يكتم ضحكة أوشكت أن تفلت منه: «كيف تخلصت من خصلات شعرك الجعداء؟».

ـ بالشعر المستعار.

لوى ملامحه قائلاً: «لديك شخصية مختلفة لكل مناسبة».

ـ بحسب الاتفاقية التي بيننا.

ـ أنا آسف على اليوم الذي دخلت فيه إلى مكتبي. فمنذ ذلك الحين لم أذق لحظة سلام.

فقالت وهي تلقي يدها على ذراعه:

ـ أنا أسمع جرس الباب. هل نذهب لنحيي ضيوفنا يا عزيزي؟.

كاد يفتتن بها. ما أرق ملامحها!، وما أحلى ابتسامتها! لكنه أمر نفسه بأن يقوّي مقاومته.

بعد ذلك، بدا وكأن السهرة لن تنتهي أبداً. زادها إرهاقاً الرسميات التي يحبها ريس. كان الطعام لذيذاً، ومن حيث كان يجلس متربعاً على الأرض، أخذ ينظر إلى لورين وهي تسحر الضيوف. كانت تتصرف كمضيفة ممتازة. لو كانت أمه موجودة لأعجبت بها، ولاقترحت عليه،

بصوتها المهذب، أن يتزوجها. وأخته «كيلي» كانت ستتعلق بها. ولورين كانت ستحب «كيلي»، أكثر مما تحبه هو حتماً.

«كيلي»، التي كانت أصغر منه بسبع سنوات، هي ميتة منذ خمس سنوات...

وكالعادة توقفت أفكاره بعنف. ورغم مرور كل هذا الوقت، لا يستطيع أن يتذكر آخر يوم أمضياه معاً دون أن يشعر بهذا الأسى كله. كيف تركها بإهمال على جانب الطريق خارج البنك في شيكاغو، دون أقل هاجس بأنه لن يراها بعد ذلك حية أبداً.. وتوترت أصابعه حول كأسه. وهتف في داخله بوحشية بأن هذا يكفي، وبأن لا فائدة من التفكير في هذا.. إنه أمر ذهب وانتهى.

فجأة رأى نفسه ينظر إلى أعلى، شاعراً بالغريزة أن هناك من يراقبه. واشتبكت عينا لورين الفيروزيتان بعينيه. كانت تحدق إليه مباشرة، وفي وجهها من العطف ما جعله يتشوّق إلى أن يضمها إلى قلبه، ويضع خده على شعرها ويحدثها بكل ما حدث في عصر ذلك اليوم المصيري.

وإذا به يتساءل بسخرية عما يجعله يفعل ذلك؟ لم يسبق أن حدّث أحداً قط عما كان عليه شعوره لموت «كيلي»، فلماذا يبدأ ذلك مع لورين كورتني؟ وبتعمد قسّى ملامحه في وجهها، مظهراً لها النبذ وكأنما أدار لها ظهره. وإذا به يرى عينيها تظلمان من الألم. ثم خفضت نظراتها إلى صحنها. وسألتها جارتها التي على شمالها عن شيء، فأخذت تبحث عن جواب له ووجهها بشحوب الأطباق الصينية التي يأكلون فيها.

ما كانت «كيلي» لترضى عن الطريقة التي تصرف بها مع لورين.. لكن «كيلي» ميتة الآن.

كانت «كيلي» هي سبب شرائه تمثال العذراء والطفل. فقد كان يمثل، بشكل ما، كل ما فقدته.

ومرّ الوقت دقيقة فدقيقة، إلى أن وقف في النهاية بجانب لورين أمام الباب الأمامي الواسع يودعان الضيوف. رفع يده محيياً آخر سيارة توارت في

نهاية الطريق، ثم أغلق الباب أمام الليل البارد المعطر برائحة الصنوبر. وقال: «كانت السهرة جيدة جداً».

لم تعبأ لورين حتى بالرد. بل وضعت يدها على ذراعه وسألته بصراحة تعوّد عليها منها: «ما الذي كنت تفكر فيه أثناء العشاء؟ بدوت وكأنك تتحطم».

النزوة الطارئة التي تملكته لكي يفضي إليها، دفنت نفسها الآن تحت طبقات من التحفظ التي كانت تمثل دفاعه الوحيد في كل تلك السنوات، فقال بلهجة لاذعة: «كنت أفكر في سوق الأسهم القذر، فأنا مقبل على طرد نائبي في فرع «تايلاند». أنت التي تصرين دوماً على أن نتشبث باتفاقيتنا، فلماذا لا تحتفظين بفضولك لنفسك؟».

فقالت ضارعة: «ألا يمكنك أن تعترف بأنك بشر مثلنا جميعاً؟ أتظن أن العالم سينتهي إذا قلت بأنك تتألم أحياناً؟».

قال بفظاظة: «اخرسي».

اشتدت أصابعها على كمه، وعضت شفتها ثم قالت: «لقد رأيت وجهك... بدا عليك انشغال البال. مهما كان حدث، أو مهما كنت فعلت... لا يمكن أن يكون من السوء بحيث لا يمكنك أن تخبرني عنه».

حدّق في يدها وكأنه لم يرها من قبل. رأى الصبغة البرتقالية على أظافرها والجروح غير المندملة على اثنين من أصابعها هذه الأصابع التي نحتت ذلك التمثال في غرفة نومها، هذه الأصابع نفسها هي التي أخذت، منذ ليلتين تضمه، فملأت قلبه بمشاعر بدائية هي أشدّ عنفاً من أي شعور عرفه من قبل.

أمسك بيدها يرفعها عن كمه ثم يسقطها. ثم قال ببرودة:

ـ خيالك خصب جداً. والحاحك عليّ يطفىء حرارتي. اذهبي إلى فراشك يا لورين.

خفضت أهدابها تحت حاجبيها القاتمتين، ثم رفعت ذقنها وقالت بصوت هادىء للغاية: «قد يكون لديك مال كثير يا ريس، لكنك فقير فيما

يتعلق بالأمور المهمة، مثل الإلفة، والمودة الحميمة، والمشاركة».

ـ إبقي تحليلك النفسي لنفسك... فأنا لا أحتاجه.

ـ أنت لا تحتاج شيئاً، ولا أحداً، خصوصاً أنا.

قالت هذا بهدوء بالغ، ثم ارتدت على عقبيها وابتعدت عنه. أما هو فكبح حافزاً جنونياً كان يدعوه إلى أن يناديها لتعود، لكي يحتضنها إلى قلبه ثم يصف عصر ذلك اليوم المشمس في شيكاغو. الدم على جانب الطريق، الرخام، رجال الشرطة والصفارات والشعور بالذنب الذي أمسك بخناقه ولم يتركه قط.

لا... لا سبيل إلى ذلك. أنت أعزب وحيد، يا ريس كالاهان... والأفضل لك أن تبقى كذلك.. تباً لك. وليس عليك أبداً أن تتأثر بامرأة ذات عينين أشبه ببحر استوائي وشعر لامع كخشب الساج.

توارت في الممر المؤدي إلى غرفة نومها. لكنها توارت عن أكثر من مجرد مرمى بصره. كان يعلم في أعماقه أنها امرأة ذات كرامة، وهي لن تتضرع إليه لأجل أي شيء.

إنها ستتشبث بشروط اتفاقيتهما لأنها أيضاً امرأة شريفة. لكنها ليلة السبت ستتوارى من حياته كما توارت الآن في غرفتها بالضبط.

وتنتهي اللعبة.

توجه ريس إلى غرفته وهو يشتم بصوت منخفض. وبعد سبع ساعات، استيقظ من نوم تخللته كوابيس كانت فيها «كيلي» ولورين تصرخان طلباً للنجدة وكان هو غير قادر على الوصول إلى أي منهما.

سار إلى الحمام شاعراً وكأنه تلقى ضربة على رأسه من مضرب كرة التنس. وبعد ذلك بنصف ساعة كان نظيفاً حليقاً مرتدياً بذلة كحلية.

أمل عندما يدخل غرفة الفطور، أن يبدو أفضل قليلاً. لكن لورين لم تكن وحدها. كان في الغرفة شخصان.

هي و «سام لويس»، الذي يشمله برعايته فهو كان ذات يوم حبيباً لأخته «كيلي». كان واقفاً عند النافذة ينظر إلى الخارج، وكانت لورين بجانبه

تضحك لشيء قاله لها . . . بدا عليهما الارتياح . . . شابان خاليا البال .

قال ريس بحدة : «سام . ماذا تفعل هنا؟» .

استدار سام وما زالت ابتسامته العريضة على وجهه وقال : «مرحباً يا ريس . كنت في عمل في ڤانكوڤر وعرفت من «مورين» أنك هنا . وهكذا جئت لأقول مرحباً» .

استدارت لورين هي أيضاً . كانت ترتدي بنطلوناً مع قميص أبيض منشى ، وشعرها يلمع في الشمس . وقالت ببرودة :

ـ صباح الخير يا ريس . كنا ، أنا وسام ، نتحدث لتوّنا عن جولة في الجبال هذا النهار .

قال ريس وهو ينبذ شعوراً بالغيرة رفض أن يعترف به :

ـ تفحص الأمكنة التي يتواجد فيها الدب قبل ذهابكما يا سام .

فكّر بضيق في أنه يبدو كالعم المسن ، وأدرك بشعور عنيف ، أنه هو من كان عليه أن يخرج مع لورين في هذه الجولة ، وليس سام . لكنه لم يستطع الخروج للتجوال مع لورا أولاً لأنه كان مشغولاً طوال النهار ، وثانياً لأن لورين ما كانت لتقبل بالخروج معه . خصوصاً بعد الليلة الماضية . بوجوم ، سكب لنفسه كوب قهوة وأضاف إليها من القشدة أكثر مما هو مستحب له ، وقال سام ببساطة : «سأفحص الأمر مع محطة المقاطعة قبل أن نغادر . وربما نستقل أحد المصاعد ونجول في مروج الألب . . . فالمناظر هناك ذات روعة لا تصدق» .

قال ريس باقتضاب : «هذا حسن» .

وجلسوا جميعاً إلى مائدة الفطور ، فأكل ريس شماماً وثمار فريز وجد مذاقها كنشارة الخشب ، وأخذ يصغي إلى وصف سام لمرتفعات ويستلر للتزلق على الثلج . بدت له لورين جميلة بشكل يحطم القلب ، فقد أسبغ عليها شعرها الممشط إلى الخلف ، ونقاء وجنتيها وتقوّس حاجبيها أناقة وتحفّظ لوحة لأحد رسامي القرون الوسطى .

منذ جلوسه لم تقابل عيناها عينيه قط . فقال بفتور : «لورين ، لقد

حدث تغيير في الخطة . أريد منك أن تذهبي مع زوجات الوفد الياباني إلى «بمبرتن» صباح غد حيث سيتناولن فطوراً متأخراً في نادي الغولف هناك . وسيعود الباص إلى هنا حوالى الثالثة عصراً ، وعند الخامسة سنغادر البلدة في الهليكوبتر» .

رفعت حاجبيها : «كما تريد . ويجب أن أوضح يا سام أنني كنت أمثل دور المضيفة لأجل ريس في الأيام القليلة الماضية . . . وأنا عائدة إلى «مانهاتن» الأسبوع القادم» .

قال سام : «فهمت» .

ولكن بصوت يعني أنه لم يفهم شيئاً على الإطلاق .

وتابعت لورين : «ما دمت مشغولة غداً ، فمن الأفضل أن أستمتع هذا النهار بعطلتي» .

ومنحت سام ابتسامتها السخية .

لاحظ ريس بغضب بالغ أن سام بدا مبهوراً . فقال له :

ـ ربما بإمكاني التحدث إليك بعد الفطور يا سام . إلى متى ستمكث هنا؟ .

وكان حديثه أقرب إلى الأمر منه إلى الطلب . فأجاب سام : «إلى صباح الغد وسأعود بالطائرة إلى بوسطن عند العصر وأعمل في العمل الذي عرضه «أليتش» ، وأظن أن هذا ما ستحدثني عنه» .

ولكن هذا لم يكن كذلك . بعد ذلك بعشر دقائق ، حين أشار ريس لسام بالدخول معه إلى المكتب وأغلق الباب خلفهما ، قال فجأة : «أريد أن أوضح شيئاً ، إياك أن تخبر لورين عن «كيلي» مهما كانت الظروف» .

كان سام أطول منه بقليل .

ـ كنا ، أنا و «كيلي» نحب بعضنا بعضنا . كانت من أهم الناس في حياتي . وقد ماتت منذ خمس سنوات . فلماذا لا أخبر لورين عنها إذا شئت أنا ذلك؟ .

قال ريس : «بيني وبين لورين اتفاقية عمل . لذا لا علاقة لموت «كيلي»

بها».

فقال سام بحزم: «ربما عليك أن تخبرها عن «كيلي» بنفسك».

تحكم ريس بطبعه بصعوبة وهو يقول:

ـ إنها عائدة إلى «مانهاتن» قريباً جداً. وحياتي الخاصة هي... خاصة للغاية. لهذا، أرجوك ألا تذكر اسم «كيلي».

قال سام: «لا بأس. رغم أنني أظنك مخطئاً».

قال ريس ببطء: «أراك تغيرت في الفترة الأخيرة».

قال سام ضاحكاً: «نعم... لقد كبرت أخيراً... أتعرف أن المفاوضات التي وكلتني بها علمتني الكثير فقد دفعتني إلى دراسة نماذج من الصف الأولمبي، مراقباً تمكنهم من السيطرة والتحكم وأنت واحد منهم».

ابتسم ريس بالرغم عنه. لطالما أحب سام. فجأة شعر بوخزة ألم داخلي فقد تذكر كم كان سعيداً منذ سنوات لحسن اختيار «كيلي» لشريك حياتها. ولكن سرعان ما انتقل بالحديث إلى الأمور العملية. وبعد ذلك بعشرين دقيقة، أخذ ينظر من نافذة مكتبه إلى سام ولورين وهما يصعدان إلى سيارة سام المستأجرة التي ستحملهما إلى مصعد التزلق على الثلج في «بلاكومب». ماذا لو أغرمت لورين بسام؟ أي فرق سيُحدث هذا؟ هو نفسه لا ينوي الوقوع في الغرام أبداً، خصوصاً بغرام امرأة معاكسة ومراوغة مثل لورين كورتني.

انصرف إلى عملك يا ريس. أنت تعرف مكانك في دنيا الأعمال. فأنت في مركز السيطرة في تلك الدنيا.

ماذا يتضمن ذلك إذن؟ أتراه لم يُعد قادراً على التحكم بكل شيء بسبب لورين؟ أم تراه يهرب من شيء ما؟.

شتم بصوت خافت وهو يفتح جهاز الكمبيوتر، ثم يخرج من حقيبة أوراقه بعض الأوراق.

***

٦ ـ كوني لي

استمتعت لورين بزيارة سام القصيرة. فبعد تغير مزاج ريس المتعذر تفسيره، وجدت في سرور سام بصحبتها، راحة نفسية. أضف إلى أنه كان من اللباقة بحيث لم يلق أية أسئلة عنها وعن ريس... أسئلة كانت ستجد صعوبة في الإجابة عنها. وزاد الأمر صعوبة أنها وهي تتسلق إلى مروج الألب العالية كان جزء منها يتمنى لو كانت مع ريس وليس مع سام.

من في الدنيا يفضل غطرسة ريس ومشاعره الباردة على طبيعة سام المشرقة؟ لا يمكن أن تختار ذلك امرأة في رأسها عقلها.

ولكن عندما كان سام يمسك بيدها ليساعدها على تسلق حافة مرتفعة، أو عندما كان يطرد برغشة عن ذراعها، لم تكن تشعر بشيء على الإطلاق.

وكان الأمر نفسه مع كل الرجال الذين خرجت معهم بعد ساندرو. لا يمكن أن تقارن هذا مع النار التي تسري في دمها كلما لمسها ريس.

كان ذهابها إلى نادي اليخوت مع سام مأموناً.. فكرت في ذلك وهي تتبعه إلى سيارته في صباح اليوم التالي لتودعه. مأموناً ومناسباً، ودون عواقب.. عانقت سام، وعندما قبلها على وجنتيها رفعت رأسها قائلة بإخلاص: «كان جميلاً أن أتعرف إليك. اتصل بي عندما تذهب إلى نيويورك».

ـ سأتصل.. لقد أمضيت وقتاً حسناً هنا. ولكن لا تنسي أن تركبي في زورق «الكياك» عندما تذهبين إلى نادي اليخوت. وداعاً يا لورين.

أخذت تلوّح له وهو يبتعد، ثم عادت إلى المنزل... ما زال أمامها ثلاثة أيام من الاتفاقية التي عقدتها مع ريس.. وبعد ذلك تعود إلى بيتها، وإلى حياتها العادية وعملها الشاق، تعود إلى حيث انتماؤها. أليس هذا صحيحاً؟.

فتحت الباب ودخلت.. كان ريس واقفاً قريباً منها بحيث كان بإمكانها أن تمدّ يدها وتلمسه.

قال مزمجراً: «هل ستعانقينني يوم السبت مودعة بمثل تلك الحماسة؟».

فقالت غير مصدقة: «هل أنت غيور؟».

ـ لا تضحكيني.

ـ أنا لا أفكر في أن أعانقك.

ـ هل حافظت على شروط اتفاقيتنا يا لورين؟

ـ رغم أنه من الصعب عليك أن تصدق، إلا أننا لم نتحدث عنك قط.

ـ وهل عانقته.. هناك في الجبال حيث لا أحد سواكما؟.

انحنت كتفاها، وزايلها الغضب ليحل مكانه قنوط أخافها بعنفه:

ـ ما زلت تفكر في أنني أستسلم لأول رجل أصادفه. أليس كذلك يا ريس؟ أنت تفضل أن تصدق ساندرو، الرجل الذي لم تعرفه قط على أن تصدق المرأة التي تقف أمامك... أنت لا تتصور مبلغ شوقي إلى العطلة الأسبوعية... ليتها تأتي بسرعة!.

فقال بخشونة: «هذا شعور متبادل تماماً. سيأتي الباص ليقلك من هنا خلال ساعة. كوني جاهزة في الخامسة للرحيل إلى الجزيرة».

ثم ابتعد عنها مجتازاً الردهة.

أخذت لورين تنظر إليه وهو يبتعد. الشيء الوحيد الذي بإمكانه أن يمنحها إياه هو الأوامر. وتملكها الألم.

اندفعت الهيلوكوبتر باتجاه مجموعة الجزر الصغيرة البادية كزمّردات غير مصقولة في بحر فيروزي اللون. كان هناك يخت مبحر يبدو كلعبة طفل،

ومجموعة من زوارق «الكياك» تعوم كأعواد الثقاب على الماء. ثم بدأ ريس بالهبوط.

لم تستطع أن تتصور مكاناً أروع منه. تمنت لو كانت هنا وحدها، حرة في أن تجول في المكان كما تشاء. ودون أن تحاول أن تخفي التمرد في لهجتها، قالت له من خلال السماعة التي حول رأسها: «سأذهب غداً صباحاً للركوب في زورق الكياك».

ـ ليس وحدك. إياك.

ـ إذن عليّ أن أبحث عمّن يذهب معي. أليس كذلك؟ ونظراً إلى سمعتي، لن يكون هذا صعباً.

ـ اسكتي يا لورين، إلا إذا أردتني أن أهبط في الغابات.

عضت شفتها، معجبة بتناغم حركات يديه وقدميه وهو يهبط بالطائرة. وعندما صمت المحرك، جاء خادم ليحمل أمتعتهما، بينما أشار لهما المدير إلى الجناح الشرقي من مبنى متصل بالمناظر الطبيعية. فتح باباً في آخر الجناح وهو يقول: «غرفة النوم من هنا والحمام إلى يمينك وغرفة الجلوس أيضاً. وكيلك سيقابلك عند المقصف الرئيسي في السابعة، يا سيد كالاهان. والعشاء في الساعة الثامنة».

لم تكد تسمع لورين آخر جزء من حديثه. غرفة النوم... أليس هذا ما قاله؟ غرفة النوم. وعندما غادر الغرفة، سارت في منطقة الغرف، وفتحت بابين فاكتشفت أن الأول يؤدي إلى حمام قصور، والثاني إلى غرفة نوم، فيها سرير كبير.

فقالت غاضبة: «هذا ليس من شروط الاتفاقية، يا ريس... أي أن نتشارك السرير. كيف تجرؤ أن تفعل هذا بي؟».

قال بفروغ صبر: «لقد حجزت هذا الجناح منذ أسابيع أي قبل أن أعلم بوجودك في هذا العالم. وعلى كل حال، ذلك السرير فسيح بحيث يبقى بيننا متر من الفراغ».

ـ لن أنام معك.

- يمكنك إذن أن تنامي على الأريكة.

لقد تجاوز الحد... بعد كل الأحداث التي مرت عليها، أصبح أي شيء بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير. وتملكها الذعر وهي ترى نفسها تنفجر باكية وهي التي لا تبكي أبداً. أخذت تشهق وتبكي دون أن تستطيع منع نفسها. سارت متعثرة إلى الحمام وهي تدفن وجهها بيديها، متلهفة إلى الانفراد بنفسها. عند ذلك أخذها ريس بكتفيها فأخذت تضربه قائلة وهي تشهق:

- دعني وشأني... لا أطيق أن تلمسني. آه، يا إلهي! لماذا فعلت أنا هذا منذ البداية.

وضع ذراعه حولها، ثم قال بصوت لم تسمعه منه من قبل:

- لا تبكي يا لورين. أرجوك لا تبكي.

فقالت وهي تشهق: «سأبكي عندما أشاء. فأنا لم أعد أستطيع أن أطيق هذا».

ضمها إلى صدره فدفنت شهقاتها في قميصه بينما أخذت يداه تفركان ظهرها وكتفيها، وكان خده على شعرها بشكل شعرت به رائعاً... وربما هذا ما جعلها تتمكن من السيطرة على نفسها. أخيراً قالت بصوت خافت: «أنا لا أبكي، أبداً. أبداً. حتى ساندرو وكل تلك المقالات الصحفية الفظيعة... لم تجعلني أبكي. ماذا حدث لي؟».

- ولكن لماذا لا تبكين أبداً، يا لورين.

يبدو أن الدموع أطلقت لسانها:

- تعلمت ألا أبكي منذ سنوات. فعندما تركنا والاس، لم تسمح لي أمي بأن أبكي عليه. ثم عندما كبرت، وازداد جمالي بشكل واضح ازداد بغضها لي ورغبتها في أن أغادر البيت. وهذا آلمني جداً. لكن كرامتي منعتني من أن أبكي أمامها. وهكذا أظنني فقدت هذه الغريزة على ما يبدو.

- ألا ترين أمك أبداً؟.

- آه، أحياناً. فنكون عندها في غاية التهذيب مع بعضنا، وكأنه لم يحدث

شيء. زوج أمي الثاني متحفظ جداً وبليد جداً ما جعله يصدق ما قاله ساندرو عني، هو أيضاً. وهذا ما جعلني جافة معه.

- أكثر مما أنت جافة معي؟.

قالت بشرارة من حيويتها العادية: «وهل تلومني؟».

- دعيني الآن أفهم بوضوح... أنت تنامين الليلة على الأريكة.

- طبعاً سأنام، ما دامت الشهامة تنقصك لتقدم لي السرير.

- لست صاحب المشكلة. لماذا لا تشاركينني السرير؟.

فأدارت عينيها: «هل عليّ أن أهجّيء الكلام بوضوح؟ أنت تعلم ما حدث عندما عانقتك حينذاك. ثم تفكر في أنني سأنام على مقربة منك؟».

تردد لحظة، ثم قال: «أحقاً أنت تكرهينني؟».

- وكيف أعرف ذلك؟.

- من غيرك أسأله.

فقالت وهي تخلص نفسها من بين يديه وتسير إلى الحمام: «أريد أن أنفخ أنفي».

وفي المرآة المذهبة، عبست إزاء صورتها، وفي عبوسها هذا، نظرت إلى ريس الذي جاء الآن ووقف بجانبها وقالت: «أبدو مخيفة».

- هذا صحيح.

ابتسمت بالرغم عنها: «إذا كان علي أن أشابه، ولو من بعيد، المضيفة المغرية لرجل غني جداً، فهناك أشياء كثيرة عليّ أن أضيفها إلى وجهي. اخرج يا ريس».

كانت عيناه تبتسمان في عينيها في المرآة. طوله الفارع، كتفاه العريضتان خط فكه القوي، كل هذا جذبها وخلب لبها إلى حد أشعرها بالخوف البالغ. أرغمت نفسها على تحويل نظراتها عنه، ومالت على المرآة تمسح بقع الدموع عن خديها. ثم قالت: «حفلة الكوكتيل بعد ثلث ساعة. الأفضل أن نستعجل».

- هل أنت مصممة على البقاء على اتصال مع سام؟.

رفعت رأسها بحدة: «نعم».

- ولكن ليس معي؟.

- لا.

توتر فكه الذي كانت معجبة به، بحقد، وسألها: «وما الفرق بيننا؟».

- سام سمكة ذهبية، وأنت سمكة قرش.

فقال بخشونة: «أنت تعرفين تماماً كيف تجعلين الرجل يشعر بالجودة والثقة».

وأدارها نحوه لتواجهه ثم عانقها بغضب شديد ليتركها بعد ذلك بعنف جعلها تتمسك بحافة الحوض لتتمالك توازنها، فانفجرت فيه تقول:

- أتظن أن بإمكانك أن تعانقني متى شئت، ثم تدفعني وكأنني لا شيء سوى قطعة خشب؟.

فقال وكأنه يتحدث حقاً عن قطعة خشب: «في غضبك تبدين أجمل، سأذهب وأرتب مسألة زورق الكياك لأجل صباح غد.. وعليك أن تعودي للغداء».

- يمكنني أن أرتب أمر زورقي بنفسي.

- وستذهبين مع دليل... وهذا أمر.

أمر آخر. وعندما خرج من الحمام، لوت وجهها في المرآة. ثم لبست ثوباً حريرياً بسروال برتقالي اللون وحاولت أن تخفي آثار الدموع بالأصباغ. إذن، ريس يثق بها. الحري بهذا أن يجعلها سعيدة، لكنه بدلاً من ذلك عمّق من مخاوفها. لماذا بإمكانها أن تغامر مع الخشب والبرونز ولا يمكنها ذلك مع رجل حي؟.

لم تشارك لورين ريس السرير ذاته. وبعد أن أمضت سهرة تعب فيها خداها لكثرة الابتسام. أمضت ليلة تتلوى وتتقلب على الأريكة. وعند الساعة الرابعة صباحاً، اقتنعت بأن منجّد هذه الأريكة هو «سادي» يحب التعذيب، وتملكها الارتياح عندما نهضت في السادسة والنصف، ثم توجهت إلى غرفة الطعام لتتناول فطوراً باكراً قبل أن تذهب للتنزه في الزورق

الكياك. ولكن بعد ذلك بعشر دقائق، جاء ريس ليتناول معها الفطور وهو يقول: «قررت أن أذهب معك».

كانت متلهفة إلى بضع ساعات تبتعد فيها عنه، وبما أن مدة صفقتهما قاربت النهاية، كانت أعصابها تزداد توتراً في كل لحظة. ولا بد أن استياءها بدا في وجهها، لأن ريس قال بإيجاز:

- كراهيتك المعتادة لي أخذت تبدو معتدلة خفيفة للغاية.

- تربيت على أن أكون مهذبة.

فقال بصوت ناعم منخفض: «ابتسمي لي إذن، يا حبيبتي. النادلة قادمة».

ورفع يدها إلى شفتيه.

عندما سرت الحرارة في عروق لورين، ترنحت مائلة نحوه. وقالت النادلة بلهجة رسمية:

- هل وجدت فرصة تنظرين فيها إلى قائمة الطعام، يا سيدتي؟.

احمر وجه لورين وتمتمت تقول: «سلطة فواكه وخبز محمص وقهوة من فضلك».

لا بد أن هذه الأشياء موجودة في قائمة كل فطور.

سألت النادلة ريس: «وأنت يا سيدي؟».

أعطاها ريس طلبه، وذهبت النادلة فقال ريس بهمس خشن: «كل امرأة عرفتها كانت كالكتاب المفتوح أمامي، ما عداك أنت. تقولين إنك تكرهينني، وإذا بك تحدقين إليّ وكأنك تريدين أن تأكليني بدلاً من الفطور».

كان هذا هو شعورها بالضبط. ومضت لحظة عنيفة تملكها فيها إغراء بأن تعترف له بمشاعرها.

ولكن ماذا لو أن ريس قال لها عند ذاك نفس ما قاله لها ساندرو؟ من أنها امرأة باردة، فاشلة وغير متجاوبة؟ وأن جمالها لا جدوى منه لها ولا لأي شخص آخر؟ إنها لا تستطيع احتمال ذلك. فقد كان ذلك مذلاً لها للغاية

ومخزياً إلى أقصى حد.

كانت تخاف من ريس. إنها تفضل أن تواجه أخشن نقد فني في نيويورك على أن تواجه هذا الرجل الأزرق العينين الذي يجلس الآن أمامها.

ـ لورين، ماذا حدث؟ تبدين تعيسة.

كاد الاهتمام في صوته يهلكها فقالت: «لا شيء لا يمكن للغد أن يصلحه».

تمتمت بذلك وهي تغرز شوكتها في غطاء المائدة.

فقال متوتر: «فلنعقد صفقة معاً. دعينا ننسى كل شيء عن والاس واتفاقيتنا وكل شيء آخر... ونذهب للنزهة في الزورق ونستمع إلى صوت الماء والأمواج ونرى بعض الحيتان... ما رأيك؟».

غامت الشوكة أمام عينيها. وكادت تبكي مرة أخرى. يا إلهي ماذا حدث لها؟ وأخيراً قالت متلعثمة: «وربما هذا حسن».

ـ حسناً. أنا معتاد على هذه المنطقة التي كان الناس يزورونها من أجل الحيتان. وهكذا سنتجه إلى هناك مباشرة. هجرة سمك السلمون تأخرت هذا العام. وهذا هو السبب في أن الحيتان ما زالت هنا.

بدا عليها ما يشبه الابتسامة:

ـ بدلاً من سمكة القرش، كان يجب أن أشبهك بالحوت المفترس.

ـ هذا غير محتمل. فهي تعيش في جماعات عائلية.

ثم أضاف فجأة: «هذا حسن، القهوة قادمة. إنها الطريقة الوحيدة لبدء النهار. ألا توافقينني الرأي؟».

أخذت تفكر وهي تمزج قهوتها بالقشدة وتحدق في طبق فاكهتها. وعندما ابتعدت النادلة، قالت:

ـ لم أسألك قط عن أسرتك.

ـ لا شيء ليقال. والداي ميتان.

ـ لا أخوة ولا أخوات؟.

بعد تردد قصير للغاية، قال: «لا».

كان يكذب. كانت واثقة تقريباً من ذلك. تناولت حبة فريز بشوكتها، وقالت:

ـ كنت طفلة وحيدة. كنت في كل عيد ميلاد أكتب رسالة ملتهبة إلى بابا نويل أطلب منه أختاً صغيرة يضعها لي تحت الشجرة. وبعد ذلك أخبرتني صديقة لي أن بابا نويل لا وجود له.

وابتسمت بأسف: «إنها آلام النمو. هل تمنّيت قط أخاً أو أختاً؟».

ـ كانت لي أخت وماتت.

مرّ صمت قصير بغيض. ووضعت لورين شوكتها على الصحن: «ريس... أنا آسفة».

ـ كان ذلك منذ وقت طويل. عليك أن تأخذي معك مضاداً للشمس هذا الصباح. النور المنعكس من الماء يمكنه أن يسبب حروقاً سيئة.

كان الجلد فوق سلاميات أصابعه مشدوداً، وعيناه مظللتين بأهدابه. لم يكن يريد أن يخبرها عن أخته. وكان ذلك واضحاً. رغم أنها ماتت، ورغم أنه مضى على ذلك وقت طويل، إلا أن الألم عليها ما زال حياً للغاية.

تمنت لو تستطيع التخفيف عنه. ومع ذلك، كانت مصممة غداً بعد الظهر حين يعودان إلى فانكوفر، على أن تدير له ظهرها، فقد قالت له (لا، لن أبقى على صلة بك).

أتراها كانت تعني ذلك حقاً؟ هل بإمكانها، وبكل بساطة، أن تدير ظهرها إلى الرجل الذي أغضبها بشكل لم تعرفه في حياتها، والذي فتنها، والذي شوشها وخلبت لبها تصرفاته بنفس المقدار؟ ماذا لو أنها لم تره قط مرة أخرى؟ وهل هذا ما تريده؟ ملأت فمها بالتوت وأخذت تمضغ متمهلة. هل شعرت طوال حياتها بمثل ما شعرت به في صحبة ريس من حياة وحيوية؟ بسبب ساندرو، دفنت نفسها في عملها وأهملت مشاعرها وحاجاتها الطبيعية وكانت النتيجة أن مهنتها استفادت من ذلك، ولكن ماذا عنها هي؟.

سألها: «هل سمعت ما قلته؟».

ـ ماذا... آسفة؟.

ـ سألتك كم تبلغ خبرتك بتجديف زوارق «الكياك».

جاهدت لكي تستجمع أفكارها: «آه، إنها كبيرة».

ـ هل لك أن تعطيني رقم تليفون بيتك؟.

طرفت بأجفانها: «أنا... نعم. إذا فعلت أنت نفس الشيء».

ـ لدي رقم أنا موجود دوماً فيه. سأعطيك إياه.

فقالت بفتور: «لماذا يا ريس؟».

فقال بصوت خشن: «الله أعلم. أنا فقط لا أطيق كلمة الوداع غداً».

بدت على فمها شبح ابتسامة: «أنا أشعر بنفس الشيء. ولكن لا تسألني إيضاحاً».

فقال بفتور: «لم أعد أصدق ساندرو. أنا آسف لأنني صدقته».

سقطت من يدها قطعة شمام في الصحن، شاعرة بأن الأرض قد اهتزت من تحتها. وقالت:

ـ إن بكيت مرة أخرى، فلن تصدق أنني لا أبكي أبداً.

ـ أنت لم تستغلي جسدك قط للتقدم في مهنتك، أليس كذلك؟.

ـ لا، إلا إذا اعتبرت ساندرو من ذلك الصنف.

ـ لا أعتبر هذا. كنت صغيرة. ولا شك أنك كنت متلهفة إلى وجودك في «مانهاتن». وكان هو معلمك.

ـ كنت أحبه. أو على الأقل، هذا ما كنت أظنه. إلى أن سرق تصميماً لي ذات مرة وأنكر ذلك... وكان في ذلك نهاية علاقتنا.

فقال بحيوية مفاجئة: «فلنذهب إلى التجديف، يا لورين، لقد نلت الكفاية من الماضي، ومن فقدان أعصابنا مع بعضنا البعض خمس مرات في اليوم».

ـ عشر مرات.

فضحك وهو يقف: «أنا أرفض الموافقة على ذلك».

فكرت في أنه عندما يضحك بهذا الشكل يبدو خالي البال، مليئاً بالحيوية والرجولة المدمّرة، ما يجعلها تجاهد لتبقى يدها بعيدة عنه.

لقد صدقها بالنسبة إلى ساندرو، وطلب رقم تليفونها... تبعته إلى خارج غرفة الطعام وعلى فمها ابتسامة واسعة.

***

كانت مياه المضيق فيروزية اللون، وحبال أعشاب البحر الغليظة تسير مع أمواج المدّ التي تتدفق بين الجزر. أخذ نسر فوق شجرة سامقة يراقب الزورقين وهما يمران. بعد ساعة من خروجهما، قال ريس بصوت خافت:

ـ شوهدت الحيتان المفترسة في هذه الناحية، حركة المدّ مناسبة تماماً، فلنبق هنا فترة.

فتنهدت: «هذا رائع الجمال».

لأول مرة لا يرى ريس المنظر. كانت عيناه على لورين فقط. أخذ ينظر إلى الشمس على جانب وجهها وهي تعبّ من جمال امتداد أشجار الأرز وطيور النورس الناصعة البياض التي تحلّق دون جهد فوق المياه. كانت تختلف كلياً عن كل امرأة أرادها يوماً... كان أحمق في حكمه عليها ولأنه صدّق كلاماً غير صحيح وتقارير رخيصة.. فكّر أن يجعلها ملكاً له. هل هذا ما يريده؟ أن يجعل له نوعاً من الحق فيها؟

كانت سعيدة لأنه طلب منها رقم تليفونها. فقالت له هامسة بسرعة: «ريس، ما هو ذاك؟».

برز من الماء شيء داكن يشبه الخرطوم، ما لبث أن تبعه شيء مكوّر ناعم، هو نموذج تام لحوت مفترس أبيض وأسود. نفخ الحوت فتصاعد البخار في الجوّ وتوارى الذيل تحت المياه تاركاً خلفه فقاعات على وجه الماء. ثم صعد إلى السطح ثلاثة حيتان أخرى، ثم تواريا. واهتزت المياه ثم هدأت.

عاد الحوت الأول إلى الظهور، متلوّياً عالياً في الجوّ، ثم ارتمى لاطماً المياه فتصاعد الرذاذ في كل ناحية. بعد ذلك بعدة لحظات، رفعت الريح هيكل زورق ريس. نظر إلى لورين فبدت مفتونة، مسلوبة اللب. هل تبدو دائماً بهذا الشكل عندما يعجبها شيء؟.

عادت الحيتان إلى الظهور مرتين بعد ذلك، ثم عاد البحر مرة أخرى هادئاً وكأنه من الحرير الداكن الخضرة. وقالت برقة: «كان ذلك رائعاً. أشكرك جداً لأنك أحضرتني إلى هنا، يا ريس».

فقال بابتسامة عريضة ملتوية:

ـ بكل سرور. أتريدين أن تري بعض المنحوتات الصخرية لأهل هذه المنطقة؟.

بادلته الابتسام، ابتسامة سرور خالص وسألته: «ما رأيك؟».

قال بمرح: «آه! أنا أراقب أفكاري».

ـ ربما لأننا في زورقين مختلفين.

ـ يمكنك أن تحاولي التقرب مني الليلة لأننا تبادلنا أرقام التليفون؟.

ـ لا أظن ذلك.

بدت في غاية الصلابة. وقال بلهجة عفوية: «سنجد بين هاتين الجزيرتين المنحوتات الخشبية التي لا تبعد سوى عشر دقائق».

نظرت إليه تعترض بشدة: «لماذا تريد أن أستسلم لك يا ريس؟ هل لكي تمنحني غداً قبلة الوداع ثم تذهب إلى صديقتك التالية».

ـ لم أشتغل قط بهذه الطريقة.

ـ ولم تقع مرة في الحب. لم تدع امرأة قط تقترب منك بشكل حميم. هل ستخبرني كيف ماتت أختك؟.

تذكر بقع الدم على رصيف مدينة... وضرب مجدافه الماء بشكل خاطىء فانحرف زورقه إلى جانب. وقال: «لا».

ـ مشكلتك أنك تهتم بناحية واحدة من العلاقات الحميمة.

ـ هل عدت إلى الجدل، يا لورين؟.

ـ يبدو أن البديل لي هو أن أفعل بالضبط ما يسرك.

وضربت مجدافها في الماء بما أوتيت من قوة.. وقال ريس ببراءة:

ـ أتريدين بعض اللوز المغلف بالشوكولا؟.

فهتفت: «أنت تجنني. نعم أريد».

اقترب بزورقه منها، ومدّ يده إلى جيب سترة النجاة التي يرتديها وأخرج منه كيس اللوز. ولكن ما إن مدت يدها حتى أمسك بمعصمها، وجرها يزيدها اقتراباً منه ثم عانقها، فمال زورقه بشكل خطر. وعندما أفلت يدها بشيء من الخشونة، قال: «مذاقك ألذ من الشوكولا».

ـ هذا أحسن مديح سمعته في حياتي. حسناً، المديح الوحيد، في الواقع.

أخذ يضحك، وهو يضع بعض اللوز في يدها، ثم قال:

ـ أنت برشاقة الحوت المفترس، ما رأيك في هذا؟.

فقالت: «وأنت مثل كتلة من الغرانيت. لا تتزحزح».

فقال بوقار: «وأنت بجمال بحر من الخيار. هادئة لا تعرفين الانفعال».

سبق أن أشار إلى بحر خيار أخضر زيتوني كان ملتفاً حول الصخور. وقالت لورين:

ـ أنا أعرف ماذا تشبه... المد والجزر. عميقاً وخطراً.

ـ خطراً؟.

ـ آه، نعم. خطر للغاية. أريد مزيداً من اللوز وبعد ذلك أريد أن أرى تحت الصخور.

ليته فقط لم يكن معجباً بها إلى هذا الحد! ليته فقط لم يكن مقتنعاً بأن أمواله لا تعني شيئاً لها! وليتها فقط لم تكن بهذا الجمال الخارق! إن كانت هذه الأمور غير صحيحة، فهل سيكون بإمكانه أن يدير ظهره إليها غداً؟.

لم تكن العلاقات الدائمة من ضمن خطته.. الشيء الذي تعلمه من موت «كيلي» أن لا شيء يدوم أبداً.. وضع في يدها مزيداً من اللوز. وقال ببساطة: «هنالك أخشاب يخلفها المد والجزر على طول الشاطىء قرب نادي اليخوت. وسأريك إياها في طريق عودتنا».

لورين تعشق تحت الصخور. لكن ذكر الكتل الخشبية جعلها تصمت بشكل أدرك ريس معه أن ذلك حرك فيها موهبتها الإبداعية. رآها تجول بين

النباتات المتشابكة والفروع الملتوية التي صقلها البحر وحوّلت لونها الشمس... في هذه اللحظة أدرك شيئاً آخر. كانت كتل الخشب مجانية، فهو لا يمكن أن يشتريه لها. ولكنه يراهن بأنها، لو خُيرت بين ماسة بوزن خمسين قيراطاً وبين جذع شجرة مستدير، لاختارت الجذع.

لم يكن واقعاً في غرامها... هذا مستحيل فهو لم يكن يؤمن بأن المرء يقع في الغرام، كما لا يؤمن بأن شيئاً يمكن أن يدوم.

عادت لورين إليه، وعلى وجهها انشغال البال، وقالت: «أنا مسرورة جداً لأنك أريتني هذا».

ـ إذا شئت أن تبقي هنا فترة أخرى، وتعودي بعد ذلك مشياً يمكنني أن أسحب خلفي زورقك عائداً به.

فقالت باسمة بسرور: «أحقاً؟ سيكون هذا رائعاً».

وعندما أخذ يجدف مبتعداً عن الشاطىء، كان مستعداً للمراهنة على أنها الآن نسيت كل شيء عنه، ولم يعرف ما إذا كان عليه أن يغضب أم يضحك لقدرتها الفائقة على نبذه من ذهنها.

بقيت لورين على الشاطىء قرابة ساعتين. وفي النهاية حملت بمشقة، قطعة خشب صغيرة نسبياً وعادت بها إلى النادي.. كانت تعرف بالضبط ما ستفعله بها. سارت إلى المصطبة التي تحيط بجناح ريس حيث خلعت سترة النجاة ودخلت لتباشر عملها على الفور. لم يعد ريس إلى الغداء. وعند الرابعة عصراً، أدركت أنها جائعة جداً.. ستغتسل بسرعة ثم تطلب شيئاً تأكله.

جمعت شعرها تحت طاقية بلاستيكية، ثم وقفت تحت الدوش. العمل الذي قامت به في الساعات الأخيرة كان مرضياً للغاية.

لكنها كانت من الصدق مع نفسها بحيث أدركت أنها تستخدم ذلك للهرب من الواقع. ذلك أنها، وريس، سيفترقان، في طريقين مختلفين، بعد أربع وعشرين ساعة. هو إلى لندن وهي عائدة إلى بيت تشارلي ومنه إلى الاستديو الخاص بها في مانهاتان.

كانت مذعورة من اللحظة التي سيودعان فيها بعضهما بعضاً. إنه ذعر ممزوج بألم هائل جعل أعصابها على حافة الانهيار.

أغمضت عينيها تاركة المياه تتدفق على وجهها. لقد وصفته بأنه خطر. لكن أفكارها كانت أكثر خطورة. أقفلت صنابير المياه وخرجت من تحت الدوش ولفت نفسها بمنشفة كبيرة، خلعت الطاقية ونفضت شعرها ثم خرجت إلى غرفة نومها لترتدي ثياباً نظيفة.

فتحت الخزانة وأخذت بنطلوناً وقميصاً.. عليها أن تخرج من هنا. من هذه الغرفة، من النادي، أن تذهب إلى أي مكان يمكنها أن تجلس فيه لتفكر.

الشاطىء... الشاطىء الذي يحتوي على كتل الخشب هو الذي ستذهب إليه. ربما هناك يمكنها أن تفهم شيئاً.

اجتازت الباحة حيث نزلت الدرجات ومرت من أمام باب النادي. كانت هناك حديقة، رائعة الجمال، وبينما كانت تمر من تحت شجرة صنوبر، إذا بصوت يناديها: «هاي، لورين إلى أين أنت ذاهبة؟».

أجفلت متوترة وقالت: «آه، «راي»؟ كنت... أنا خارجة لأتمشى».

لقد تعرفت إلى «راي هاردي» وزوجته «ديانا» أثناء عشاء الليلة الماضية، وأحبتهما هما الإثنين، وكانا قد ربحا ورقة يانصيب منذ أربعة أعوام، وهما الآن يستمتعان بإنفاق ما حصلا عليه، وكان مركبهما الفخم «الفائز» يرسو في الخليج.

قال راي راضياً: «إنه يوم آخر حسن. ننوي الرحيل قريباً. فديانا متلهفة إلى التسوق في ڤانكوڤر، وقد نلت الكفاية من التسكع بقرب رجال المال هؤلاء. لا تخطئي فهمي.. صديقك ريس رجل ممتاز، لكنه أكثر نفوذاً وقوة من أن ننسجم معاً».

وفكرت لورين بتعاسة في أن ذلك ينطبق عليها هي أيضاً.

وقالت: «بدوت الليلة الماضية متمسكاً بوضعك هنا».

ـ عندما ربحت كل ذلك المال، قررت أن أتعلم شيئاً عن العناية به.

أخذني اثنان من الخبراء الماليين ولكنهما سلباني بالخداع بعض مالي وعندئذٍ انتبهت إلى نفسي وأصبحت أكثر حذراً. هذا هو السبب في أنني أوجه انتباهي إلى رجل مثل ريس. يمكنك أن تري أنه صادق.

وكان هذا صحيحاً بالنسبة إلى ريس. ورغم أن جزءاً منها كان متلهفاً إلى الوحدة، إلا أنها كرهت أن تجرح مشاعر «راي» بتركه بسرعة، وقالت له: «أنا آسفة، لأنك خسرت بعض نقودك بالخداع».

ـ قلت للشخص الثاني: «(والاس، أنت الخاسر الحقيقي هنا، لأنه أصبح عليك أن تمضي حياتك دون أصدقاء)، هذا لا يعني أنه رد إلي أياً من خسارتي. . . . انتبهي. . . لكنني شعرت براحة كبرى لأنني قلت له هذا.

توقف ذهن لورين عن العمل. والاس يعني بالنسبة إليها شخصاً واحداً. . . واحداً فقط، لا يمكن أن يكونا نفس الرجل. ورددت قوله بفتور: «والاس؟».

فقال: «نعم، والاس هارڤارسن، إنه شخص ظريف، وله علاقات طيبة مع دوائر العمل، لكنه محتال كبير».

تمسكت لورين بجذع الشجرة ورأسها يدور.

وعادت تسأله غير مصدقة:

ـ هل قلت إن والاس هارڤارسن سلبك بالاحتيال كثيراً من المال؟ هل أنت واثق؟.

ـ أنا واثق بقدر وثوقي من وقوفي هنا. آه! ماذا حدث؟ أنت لا تبدين بحالة جيدة.

فقالت بضعف: «كان والاس زوج أمي، ووالاس هو السبب في أنني مع ريس».

أمسكها راي بمرفقها واتجه بها نحو مقعد خشبي قائم في الظل، وأمرها بقوله:

ـ والآن اجلسي وأخبريني بالأمر فأنا أشعر باستياء حقيقي لأنني كدرتك بهذا الشكل.

كان في وجهه الممتلىء اهتمام حقيقي. وبكل اختصار أخبرته لورين عن الصفقة بينها وبين ريس:

ـ لم أصدق كلمة لأنني لم أستطع أن أتصور أن والاس، الذي أعبده، مسؤول عن جريمة احتيال. ولكن لا بد أن ذلك صحيح. ما دام قد خدعك، فقد خدع ريس أيضاً. آه! يا إلهي! كم كنت حمقاء، وحمقاء عمياء غبية!.

وضغطت خديها براحتيها. البرهان الذي تحدث عنه ريس في أول اجتماع لها به كان صحيحاً، وليس ملفقاً.

كانت غافلة. وقد رأت في والاس الرجل الذي كانت تريد رؤيته.

وقال راي يخفف عنها:

ـ على كل حال، أنت فعلت ما ظننته الأفضل، وكان الهدف من صفقتكما هو حماية اسم زوج أمك. . . لقد قمت بذاك عن إيمان به وهذا هو المهم.

فقالت بيأس حقيقي: «لا أستطيع أن أواجه ريس بعد الآن، لا أحتمل النظر إليه مرة أخرى».

ـ حسناً. . . رأيي أنه انتهز الفرصة وطلب ما طلبه منك.

أخذت تفكر بحزن في أنه استغلها حقاً بكل طريقة استطاعها.

وقالت بعجلة: «راي. هل تأخذانني، أنت وديانا، معكما إلى ڤانكوڤر؟ وبعد ذلك آخذ أول طائرة إلى نيويورك. .؟ أنا حقاً بحاجة إلى الذهاب إلى بيتي.

ـ هذا أكيد. لماذا لا تحضرين أمتعتك وأنا أحضر قارباً ليحملك؟ بهذه الطريقة لن يروك من المكتب الرئيسي. أنا شغوف بالروايات الجاسوسية.

فقالت: «أعطني خمس دقائق».

ثم ركضت عائدة إلى جناحهما، لم يعد مهماً خرق الاتفاقية، لأنه سينشر قصة خداع والاس ولا شيء سيمنعه من ذكر الحقيقة. زوج الأم الذي شغفت به كان من صنع مخيلتها.

سارت متعثرة على الأرض الوعرة، مادة يدها لتحفظ توازنها.

عليها أن تحتمل لأنها مضطرة إلى ذلك، أما ما لن تستطيع احتماله فهو أن تري ريس مرة أخرى. لأن الأسوأ من كل هذا هو أنها لم تعد تثق بحكمها على الآخرين. لطف ورقة والاس أعمياها عن نفاقه. ثم سقطت بين براثن ساندرو الذي بدا وديعاً فإذا هو رجل قاس يستغل الناس.

وماذا عن ريس؟ وما هي حقيقته؟.

سحبت نفساً طويلاً مهتزاً، ثم صعدت الدرجات ودخلت الجناح. وبعد أربع دقائق خرجت من نفس الباب وبيدها حقيبة ملابسها، والمنحوتة الخشبية، تاركة ملحوظة قصيرة على السرير تقول فيها إنها عرفت الحقيقة عن والاس وإنها ذاهبة إلى بيتها وإنها لا تريد أن ترى ريس بعد الآن أبداً.

كان راي قد دفع القارب نحو الشاطىء فصعدت إليه واضعة أمتعتها في وسطه، ثم جلست في مكان لن يراها أحد منه في حال رآها أحد من النادي.. صعدا إلى اليخت «الفائز» من الجانب غير المواجه للنادي ثم أدار البحارة المحرك. أخذ الهواء يلقي بشعرها على وجهها بينما أخذت تنظر إلى نادي اليخوت وهو يصغر شيئاً فشيئاً إلى أن توارى عن النظر.

لم تكن تفكر في والاس، بل في ريس فكل لحظة كانت تزيدها ابتعاداً عنه، وكان جسدها يشعر وكأنه يمتد كهذا الأثر الذي يتركه المركب خلفه.

لم تكن مغرمة به. هذا غير ممكن، وقد أخبرته أنها لا تريد أن تراه بعد الآن، فلماذا يشعر قلبها بأنه قد انشق إلى جزءين؟.

***

٧ ـ وراء أسوار قلبه...

في الدقيقة الخامسة بعد منتصف الليل، فتحت لورين باب الاستديو في «مانهاتن». كانت مرهقة من السفر بالطائرة ومن توتر الأعصاب. ومع ذلك كانت يقظة... وضعت كيسها وهي ترى الضوء على تليفونها يتوهج. رسائل تنتظرها. هل هناك واحدة من ريس؟.

أتراه سيلحق بها؟ وبدأت بتنفيذ الخطة التي كانت تجول في رأسها، ستذهب إلى «مين» الآن. وستبيع بيتها القائم على شاطىء البحر الذي تركه والاس لها وترسل ثمنه إلى ريس. تعلم أنها لن تحصل على خمسمائة ألف دولار ثمناً له، وهو المبلغ الذي حصل عليه والاس بالاحتيال، ولكن قد تحصل على ثلاثة، وسيكون فيها البداية.

كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي تعرفها لإصلاح الخطأ الذي قام به والاس.

تجاهلت التليفون، ووضعت إناء القهوة على النار. ثم أحضرت مفتاح بيتها في «مين»، ووضعت الملابس التي سبق أن ارتدتها على اليخت على سريرها. ثم أعدت بسرعة حقيبة صغيرة ليوم واحد... ستنظم حياتها وتعيدها إلى ما كانت عليه قبل هذه الفترة المعترضة التي سرعان ما ستعتبرها فترة جنونية مؤقتة. وكلما أسرعت في النسيان كلما كان ذلك أفضل.

عندما خرجت لورين من المدينة، تابعت سيرها بهدوء، خلال الليل وساعات الصباح الأولى، ثم حجزت في نزل ريفي، ثم اتصلت بتشارلي لتعلمها بمكانها، وبعد ذلك استغرقت في نوم عميق. وعندما استيقظت

اتصلت بمكتب عقارات في «مين» قريب من بيتها في «فوكس كوف»، ثم سارت على طول الساحل طوال النهار. وتملكها الذعر وهي ترى ريس يحتل أفكارها طوال الوقت، وليس والاس.

وحوالى ظهر اليوم التالي أوقفت سيارتها أمام بيتها الذي تركه لها والاس.

كان منزلاً قد أعيد إصلاحه، مزيناً باللون الأبيض ومشيداً على مساحة أربعة دونمات. وفي الصيف كان شذا الورود والأزهار المختلفة يعطر الجوّ. وكانت لورين تفكر دوماً في العيش في هذا البيت بعد أن تتعب من نيويورك. ولكن كيف يمكنها ذلك الآن بعد أن علمت أنه آل إليها من مال حرام؟ من رجل كان كذاباً ومخادعاً؟.

وفيما وقفت أمامه، شاعرة لأول مرة بالخسارة العميقة لهذه المناظر التي كانت تعشقها دوماً، إذا بسيارة مرسيدس فضية تقف خلفها. كان اسم المرأة الضخمة الجسم التي خرجت منها «مارجوري»، وكانت سمسارة عقارات ماهرة وقد سبق أن وجدت شارياً.

قالت: «لقد سار حوله أمس وقد قدم عرضاً، مع شيك متأخر الصرف، هذا غير عادي نوعاً ما، لكن عينيه كانتا عليه منذ أشهر، وقد سره أن يعلم أنه للبيع ولم يشأ أن يسبقه إليه شخص آخر. كل ذلك يمكن إنجازه في وقت قصير، يا آنسة كورتني».

وكان هذا ما تريده. إنجاز كل شيء بسرعة بدلاً من المفاوضات المطوّلة. نظرت لورين إلى العرض. كان العرض أكثر من جيد، وشروطه قليلة. وعندما أخرجت قلمها ووقّعت السند، تنفست مارجوري الصعداء وقالت: «ليت كل مبيعاتي بهذه السهولة».

وراجعت التاريخ على العرض: «هل يمكنك الانتقال من المنزل بسرعة».

فقالت لورين: «أريد أن أنتهي من كل هذا. سأتصل بعد دقائق بشركة نقل البيوت. أشكرك كثيراً يا مارجوري وسأتحدث معك عصر هذا اليوم».

خرجت مارجوري، بينما فتحت لورين الباب ودخلت. كانت الأرض المغطاة بخشب الصنوبر، والجدران، والتحف المختلفة ترحّب بعودة لورين عادة.

ولكن ليس اليوم. ذلك أن ماضي والاس، وتصرفاتها الحاسمة قد حرماها من منزل كان دوماً ملجأً لها.

انهمرت الدموع على خديها، وأخذت تنتقل ببطء من غرفة إلى غرفة، فتمسك أحياناً بتحفة، أو تمرّ بيدها على إطار صورة، تتحدث إليها بكلمات الوداع. كانت مستغرقة في هذا إلى حد لم تسمع معه صوت وقوف عجلات على الطريق المرصوف بالحصى وصوت صفق باب سيارة، ثم رنين جرس الباب.

كان بإمكانها تجاهل ذلك. ولكن ربما هذا هو الشاري وقد جاء ليناقش بعض التفاصيل. مسحت دموعها وهبطت إلى الطابق الأسفل، وتنورتها القاتمة الخضرة تتأرجح حول ركبتيها.

ما إن انفتح الباب ورأى ريس لورين واقفة في أشعة الشمس حتى خفق قلبه بعنف. لم يكن مقتنعاً قط بأنها ستكون موجودة. بدت حزينة للغاية، عند ذلك تعاقب على ملامحه الصدمة والخوف والذعر، وقال: «لقد أسرعت بمغادرة نادي اليخوت».

كان قد صمم على أن يبدو هادئاً، لكن عدم ترحيبها به أغضبه.

كان وجهها قد شحب. وهمست وهي تستند إلى إطار الباب كيلا تقع:

ـ ريس. ما الذي تفعله هنا. كيف عرفت مكاني؟.

ـ آه، لم يكن ذلك سهلاً. لقد سألت كل فنادق ڤانكوڤر، ثم الاستوديو مكان عملك، وهكذا فكرت في أنك قد تكونين هنا، فجئت بالطائرة منذ ساعة.

ـ ظننتك مسافراً إلى لندن.

ـ ألم تسمعي عن شيء يسمونه (انتداب)؟.

ـ هل المفروض أن أشعر بالغرور؟.

قال فجأة: «أكنت تبكين؟».

ـ لا صلة لبكائي هذا بك.

فقال بحدة: «بل يتعلق بي تماماً».

ثم أصغى إليها تقول:

ـ آه، لا. هذا ليس صحيحاً. لماذا لا تستقل الطائرة عائداً إلى بيتك وتتركني وشأني؟.

ـ بيننا عمل لم ينته بعد.

ـ أنا أعفيك. يمكنك أن تنشر كل ما تريده عن والاس، أية حمقاء ظننتني عندما قلت لك: (لكنني شغوفة بوالاس. لقد عرفته مدة طويلة، وهو لا يفعل أي شيء خطأ...). حسناً، هذا كان رأيي فيه، لكنني تعلمت الدرس. لا أستطيع أن أثق بساندرو، وما كان لي أن أثق بوالاس. وأنت؟ ألا يمكنك أن تخرج من حياتي بسرعة؟.

وضع ريس قدمه بحزم على عتبة الباب كيلا تغلقه في وجهه وقال:

ـ عملنا الذي لم ينته لا علاقة له بوالاس.

تجاهلته وقد احمر وجهها، وقالت: «بما أنك هنا، يمكنك أن تأخذ هذا».

ثم دفعت إليه بورقة. فتحها. وكانت هي الشيك المؤجل الدفع بمبلغ ثلاثمائة ألف دولار.

فسألها: «لماذا هذا؟».

ـ لقد بعت البيت لتوّي. وهذا ثمنه. وأنا الآن مدينة لك بمئتي ألف ستحصل عليها حالما أتمكن من بيع الاستوديو.

قال بصوت أجش: «هل أنت مجنونة؟».

ـ أتظنني أستطيع أن أعيش وأنا أعلم أن زوج أمي احتال عليك بمبلغ نصف مليون دولار؟.

ـ هو الذي احتال علي وليس أنت.

ـ لقد بقي سنوات قريبي الوحيد، ولهذا أشعر بالمسؤولية. أم أن ليس

لديك مثل هذا المفهوم؟.

قال بقوة: «لورين. لا أريد أن أقف على عتبة الباب مثل جابي الضرائب. دعينا نتابع حديثنا في الداخل».

ـ ليس هناك ما نتابعه.

بدت وكأنها تعني هذا.. أمسك بأصابعها يفكها عن إطار الباب ثم صعد إلى العتبة فأصبح شبه ملاصق لها. وكانت النتيجة معروفة. أراد أن يأخذها بين ذراعيه ويعانقها حتى تذوب مقاومتها.

لكن إذا كان لديه عقل، عليه أن ينتظر عدة دقائق قبل أن يتطرق إلى الموضوع الذي يريده.

اندفع داخلاً أمامها، وأخذ ينظر حوله بإعجاب بالغ، شاعراً وكأن هذا البيت القديم يرحّب به. وكان يسمع من خلال النافذة المفتوحة إيقاع البحر الرقيق.

سألها: «هل أمضيت هنا كثيراً من الوقت في تلك السنوات؟».

كانت مستندة إلى الجدار، وعيناها خاليتان من المودة.

ـ متى ستنشر البراهين ضد والاس؟.

ـ ما الذي جعلك تظنين أنني سأفعل ذلك؟.

ـ لقد خرجت أنا عن شروط الاتفاقية.

ـ وأنا أيضاً.. الاتفاقية تقول إن علينا ألا ندخل مشاعرنا فيها.

انتصبت واقفة، ودست يديها في جيبي تنورتها، وقالت بمرارة:

ـ أنت مدمّر. أنا أحببت والاس، وأحببت هذا البيت. لم تقل أمي قط إنها أحبتني عندما كنت صغيرة. كما أنني لا أتذكر أبي الحقيقي، أما زوج أمي الثاني فكان متلهفاً لمغادرة المدينة. وهكذا أفرغت حاجتي إلى حب الأبوين على والاس. ووجدت الأمان في هذا البيت. وها أنت ذا الآن تسحقهما هما الاثنين. أتراك تسحق كل ما تلمسه؟.

ورصيف شيكاغو المطلخ بالدم... قال ريس بهدوء:

ـ سأعرض على الشاري مبلغاً مضاعفاً لما دفعه وأعيد إليك البيت.

قالت بصوت متهدج: «المال لا يصلح كل شيء، يا ريس، ألا ترى؟ لقد أحببت والاس كثيراً. والآن بقيت دون شيء بل دون أقل من لا شيء. لأن ما كنت أظنني أملكه كان زائفاً».

خرجت من أعماق قلبه كلمات قالها بعفوية: «أخبريني عما أحببته في والاس؟».

ـ كان رقيقاً، ومرحاً، وكان يجعلني أضحك. وكان يقوم بأعمال جنونية مثل السباحة في نيسان وركوب الدراجة على الثلج... وكان يصغي إلي، وكان من الذكاء بحيث لا يعطي نصائح.

انهمرت الدموع على خديها، فتجاهلتها مترفعة. وكان ريس أذكى من أن يلمسها، فقال:

ـ وأنت تظنين أن احتياله قد محا كل هذا؟ لورين، ليس للإنسان جانب واحد. نعم، لقد اقترف جرماً. لكنه مثل روبن هود، يأخذ من الغني فقط. وأيضاً نعم، كان زوج أمك رائعاً معك، فهذه الناحية من شخصيته لا تنفي الأخرى. أنت الآن كأنك تلقين بالطفل مع ماء غسله.

قطبت جبينها: «أنا ماذا؟».

ـ يبدو لي أنه أعطاك أكثر مما أخذ مني بكثير. لأنه أعطاك ما لا يُشترى بالمال. أعطاك المحبة والأمان حين كنت بحاجة إليهما.

فقالت ببطء: «أنت على حق. هذا ما فعله».

ـ كان إنساناً غير كامل. مثلنا جميعاً.

قالت ببطء أكثر: «عندما سميتك مدمراً، بدا عليك الشرود. بماذا كنت تفكر يا ريس؟».

خنقته غصة. لا يستطيع أن يخبرها. فلم يحدث أحداً قط عن الكابوس الذي تلقاه حين عاد من البنك. كانت أمه في اليوم الذي سبق موتها منذ ثمانية أعوام، قد طلبت إليه أن يعتني بكيلي. لكنه فشل في ذلك وماتت كيلي.

وعاد إلى نفسه ليرى لورين وقد اقتربت منه، ويدها على كمه، والحنان

قد رقق ملامحها:

ـ أخبرني. أرجوك.

قال بصوت خشن: «لا أستطيع ذلك».

ـ يمكنك أن تثق بي.

كانت عيناها، وهما باخضرار البحر البادي من النافذة، مليئتين بالضراعة. لم يفض إلى أحد قط بمشاعره إلا إلى كيلي. أدرك ذلك وقد صدمته الدهشة. ولكن كيلي ماتت فانغلق على نفسه. ولورين الآن تطلب منه أن يضع نفس تلك الثقة فيها. فقال لها:

ـ وكيف أثق بك ولم نعرف بعضنا البعض إلا منذ أسبوعين؟.

لاحظ أن البعاد حل مكان الحنان في عينيها، وهي تقول بفتور:

ـ إذن، فلم يبق ما نقوله لبعضنا البعض. عندما أصرف ذلك الشيك، أرسل لك المبلغ. وسأرسل لك شيكاً آخر، بعد أن أبيع الاستديو.

ـ إذا عرضت الاستديو في السوق للبيع، فسأشتريه وأعيده إليك.

ـ لن تجرؤ.

ـ جربيني، وأنا أيضاً لن أقبل أي مال من وراء هذا البيت.

ـ ريس، أنا أبذل جهدي لكي أعوضك عما خسرته.

ـ لست مضطرة لذلك. ألا تفهمين؟.

ـ كل ما في الأمر أنك لا تقبل نقوداً من امرأة.

ـ وأين ستشتغلين إذا بعت الاستديو؟ في الشارع؟ كوني عاقلة بحق الله.

ـ سأستأجر مكاناً وسأتدبر أمري. فهذا ما أفعله دوماً.

قال: «هل تظنين أنني قد أتركك للشارع؟ أشعر بأن مسؤوليتك تقع على عاتقي. ألا ترين يا لورين؟ نحن مرتبطان ببعضنا؟ لا يمكننا أن نفترق بسهولة. أريدك... هل تفهمين؟ أريدك كما لم أرد امرأة قط».

فقالت: «لا».

وتراجعت خطوة رافعة يدها تتجنبه، فشعر بجرح في كرامته، وقال:

«أعلم أنني . . ».

فقاطعته: «لقد انتهت الصفقة. وسأرسل إليك الشيك. لا يهمني حتى لو منحته لملجأ إيواء القطط المشردة».

شعر بالغثيان وهو يرى أنها كنت مصممة حقاً على ذلك، إنها حقاً لم تعد تريد أي صلة معه. شعر وكأنه تلقى طعنة خنجر بين أضلعه، لكنه صمم على أن لا يظهر أنه ينزف. وسمح للغضب بأن يحجب الألم. تباً له إذا كان سيتضرع إليها، فهو لم يفعل هذا قط من قبل، ولن يبدأ بذلك الآن. لا، لن يفعل. وإذا لم تكن تريد ذلك، فإلى جهنم بها.

كان ضوء الشمس يشع بقسوة على وجهها. وبدت تحت غضبها، منهكة عنيدة. فكر بوحشية في أنها متلهفة إلى إخراجه من حياتها. ولكن ماذا يهمه؟ فلن يذهب أبداً إلى مكان هو غير مرغوب فيه، وهو لن يغيّر ذلك لأجل نحاتة موهوبة، وشعر جعد وجمال شغل باله. قال بلهجة رسمية:

ـ وداعاً يا لورين.

ودون انتظار لجوابها، ارتد على عقبيه وغادر المنزل.

سيكون هذا أقصر وقت تُستأجر فيه سيارة، في التاريخ . . . أخذ يفكر في ذلك وهو يصعد إليها ويبتعد بها. ولكن ربما كان بحاجة إلى أن يرى لورين ليدرك أنه لم يبق بينهما شيء. الصلة الوحيدة التي بقيت بينهما هي شيك لا يريده ولا يحتاجه.

لم يكن هذا كثيراً بالنسبة لأسبوع أمضياه معاً.

كان مؤلماً قليلاً. ولكن لماذا يريد المزيد؟.

* * *

رفعت لورين صوت الموسيقى. كان الاستديو مزدحماً وبدا كل شخص يتمتع بوقت رائع. ما عداها هي.

لم يمض سوى أقل من أسبوع منذ زارها ريس في البيت الذي ورثته عن والاس. وقد انتهى البيع دون عائق. وأمس أرسلت بالبريد شيكاً بثلاثمائة ألف دولار إلى ريس في مركزه بلندن. وكانت ستعلن في السوق عن عرض

الاستديو للبيع لولا أن منعها من ذلك ثقتها بأن ريس سيشتريه حقا.

دق التليفون الداخلي مرة أخرى، وبعد لحظات بدا سام على عتبة الباب. كان يحمل باقة من الزنابق قدمها إليها، فوق تلك الضجة، وقالت: «هذه أزهار جميلة. شكراً».

فقال وهو يقبل وجنتها: «آسف على تأخري كان لدي اجتماع. تبدين رائعة».

كانت ترتدي تنورة طويلة ضيقة، وبلوزة مقصبة محكمة على صدرها، وكان شعرها مجموعة ضخمة من الخصلات الجعداء التي تحيط بوجهها. لقد أقامت هذه الحفلة لسببين: لكي تحتفل ببيع مجموعة كبيرة من أعمالها، أولاً، ولكي تبهج نفسها ثانياً.

قالت له: «شكراً تعال معي وسأقدمك إلى بعض أصدقائي».

ـ ما رأيك في أن أرقص معك أولاً؟.

جرّها إلى حلبة الرقص، شاقاً طريقه بين الجموع، ثم أخذها بين ذراعيه وهو يقول:

ـ ما أجمل أن أراك! هل انتهى تحفظك بصفتك مضيفة ريس؟.

فاتت لورين خطوة في رقصها وهي تقول: «نعم».

نظر إليها ساخراً: «هل ستخبرينني ماذا كان سبب هذا كله؟».

ـ لا. لن أخبرك.

ـ جاء إلى اجتماعنا الليلة . . . وهذا هو سبب تأخري . . بدا أشبه بجهنم.

فهتفت بحدة: «أتعني أنه في المدينة؟ هل أخبرته بأنك قادم إلى هنا؟».

ـ لا.

قالت شاكرة من كل قلبها: «هذا حسن».

ـ لورين. ريس رجل ممتاز، ولو بدا منه أحياناً بعض الاستبداد.

ـ بعض الاستبداد؟ لقد اخترع هو هذه الكلمة، وهو إلى ذلك شخص لا يمكن الوصول إلى مشاعره.

جاء الآن دور سام لتفوته خطوة.

ـ إذا كان كذلك، فهناك أسباب قوية لهذا.

ـ أخبرني إذن عنها.

ـ له وحده الحق بذلك.

ـ ولماذا لا تسألينه؟.

ـ لقد سألته، فلم يجب.

ـ حاولي مرة أخرى.

ـ قد يكون هذا صعباً قليلاً بعد أن قلت له إنني لا أريد أن أراه مرة أخرى.

ـ أنتما الاثنين استبداديان.

ـ أنا لست كذلك.

ـ كدت أنخدع. بالمناسبة، هنالك رجل يلف حول وسطه مئزراً قرمزياً يدخل المزيد من الناس. هل هذا يناسبك؟.

ـ حفلاتي تخرج دوماً عن السيطرة قليلاً... فنانون كثيرون جائعون، كما أظن.

ـ هيه... خمّني من دخل للتو؟.

انتبهت إلى شيء في صوته، فأخذت تنظر حولها في الاستديو المزدحم المرتفع الحلبة والتقت عيناها بعيني ريس واشتبكتا معهما. كانت زرقاوين متوهجتين. وكان يرتدي بذلة العمل الرسمية. وحاولت عبثاً أن تحول عينيها عنه.

قال سام ببشاشة: «يبدو منحرف المزاج قليلاً. لماذا لا نذهب إليه ونقول له مرحباً؟».

تشبثت بكمه قائلة: «لا سبيل إلى ذلك!».

ـ لورين، قد يحدث بينكما مشهد عاصف، إما وسط حلبة الرقص، وإما عند الباب هناك، فاختاري.

ـ لن يحدث بيني وبين ريس كالاهان مشهد عاصف، في أي مكان،

خصوصاً في حفلتي.

قال برزانة مفاجئة: «أنت وريس مخلوقان لبعضكما البعض رغم أن أيكما لا يريد الاعتراف بذلك».

ـ هذا أسخف شيء سمعته في حياتي.

يسّر سام لها المرور. وكان يقول:

ـ أنت المرأة التي يحتاجها ريس تماماً. وأنت لست لامبالية به كلياً.

ـ وأنا كذلك لست لامبالية بالعنكبوت.

ضحك سام وهو يندفع الى الحلبة الصاخبة حول المقصف. ثم قال:

ـ هناك شقراء رائعة بجانب النافذة أنا ذاهب للتعرف إليها، ولكن أشيري إلي إذا احتجتني.

فقالت: «أشكرك كثيراً!».

قالت هذا وإذا بها تجد نفسها أمام ريس الذي لم يظهر أكثر سروراً لرؤيتها منها لرؤيته. وقال سام بهدوء يبعث على الغيظ:

ـ جميل أن أراك يا ريس. النساء يعجبهن أن تبتسم لهن. هل لاحظت ذلك قط؟.

فقال ريس بنعومة خطرة: «أبق نصائحك لنفسك، ثم لماذا لم تخبرني بأنك قادم إلى هنا؟».

فأجاب: «أنت لم تسأل. إلى اللقاء يا لورين».

قالت لورين مصممة على أن تسبقه بالكلام: «ريس، إذا كنت جئت إلى هنا أملاً في شجار كبير أو قضاء وقت سعيد، فقد جئت إلى المرأة غير الملائمة في الليلة غير الملائمة».

ـ لماذا أحضرت سام إلى هنا؟.

فقالت: «آه، إنه يظننا خلقنا لبعضنا البعض».

توتر فك ريس، وقال: «حان الوقت ليأخذ إجازة فقد تعفّن دماغه».

ـ إذا لم تكن تظن أننا خلقنا لبعضنا البعض، فلماذا جئت إلى هنا إذن؟.

فقال: «جئت أتفقّد أحوالك».

طرفت بأهدابها: «لم تأت إلى هنا لتسألني عن هذا».

شخص ما رفع صوت مسجل الموسيقى إلى القمة، وأخذ الراقصون يتحركون في أنحاء الاستديو حتى بديا كأنهما، هي وريس، منعزلان في جزيرة منفردة رغم كل الانتباه المنصب عليهما.

دس ريس يديه في جيبه وقال:

ـ جئت لأنني أريد أن أراك... لقد اشتقت إليك يا لورين.

فأجابته: «ريس، لأسبابي الخاصة، أرفض أن يكون بيننا علاقة».

سألها بخشونة: «لماذا ترفضين أي علاقة بي فأنا لن أطلب منك علاقة عابرة... بل أريدها دائمة... تزوجيني».

صعقها ما سمعت وشعرت بأنها عاجزة عن التفوه بكلمة. ربما الأفضل أن تخبره بالحقيقة كاملة.. فقالت:

ـ لا أستطيع الزواج بأي رجل.. أنا.. أنا لقد رفضت الاستسلام لساندرو. فكان يقول عني إنني باردة جداً وكان على صواب. لذا ليس ممكناً أن أقبل ما تقترحه. لا.. الزواج.. لا لن أستطيع أن أطيق ذلك.

فقال بلطف:

ـ لم يكن مناسباً لك على الإطلاق.

فانفجرت تقول: «من السخافة أنه اتهمني بتعدد العلاقات في وقت واحد. ولماذا أذهب إلى الفراش مع الرجال بينما كل شيء تعلمته منه هو أن أبتعد عن الرجال؟».

وضع ريس يديه على كتفيها برفق بالغ. فأجفلت من لمسته غير قادرة على منع نفسها. ورأت وجهه يتقلص، وقال بقوة:

ـ أصغي إليّ. أنا واثق أننا إذا تزوجنا يمكننا أن نثبت أن ساندرو مخطىء، بشرط أن تثقي بي.

هزت رأسها والكآبة البالغة في عينيها: «أنا خائفة من ذلك».

ـ أعدك بأن أكون زوجاً متفهماً مشاعرك ومعاناتك.

أحنت رأسها وتمتمت:

ـ أنا أبكي مرة أخرى. لا أدري ماذا فيك ليجعلني أبكي. لكنني مثل اللعبة التي تنز الماء.

ونظرت إليه بتمرد مفاجىء والدموع في عينيها:

ـ وعلى كل حال، لماذا تريد الزواج بامرأة تخاف من العلاقة الزوجية الحميمة؟ يبدو هذا وكأنه من باب تعذيب النفس.

ـ لأنني واثق تسع وتسعين في المئة من أنك امرأة قادرة على الحب.

قال ذلك بابتسامة ملتوية جعلت دمعة تنحدر على خدها، وصرخت:

ـ وماذا إن تعلقت بك وأحببتك وماذا إن مللت مني فهل تودعني إلى القاهرة في أول طائرة؟

ـ الآن حيث أنني بدأت أرسل مندوبين عني، ربما أتابع ذلك.

فتملكها الذعر: «لا أدري ما الذي يخيفني أكثر... أن أقبل الزواج بك أم أن أرفضه».

ـ عليك أن تثقي بي يا لورين. هذا جزء من هذه العملية. والشخص الثاني الذي عليك أن تثقي به هو نفسك.

تسرّبت الحرارة من أصابعه إلى القماش المقصب الشفاف.. والواقع أن قوة شخصيته أضعفت دفاعاتها.

قالت ببطء: «الثقة تأتي من الطرفين، كيف ماتت أختك، يا ريس؟».

غرز أصابعه، دون وعي، في كتفيها. ثم، وبغياب كيلي للمشاعر، قال:

ـ تركتها على الرصيف في شيكاغو وذهبت إلى البنك. فأطلقوا عليها النار وسلبوها... آخر ما كانت أمي قد أوصتني به قبل أن تموت هو أن أرعى أختي...

تتابع في ذهن لورين سلسلة من الكوابيس، فأحاطت خصره بذراعيها بحركة غريزية وشدته إليها قدر إمكانها وهمست: «ما أشد أسفي!».

ـ كان ذلك منذ خمس سنوات.

ـ لكنك لا تتحدث عن ذلك مطلقاً.

ـ وما الفائدة؟.

سألته: «سام يعلم... أليس كذلك».

ـ كان سام حبيب «كيلي».

إذن، هذا هو سبب دفاع سام عن ريس بسرعة.

ـ لكنه لم يخبرني قط.

ـ أنا طلبت منه ذلك.

شعرت فجأة بالإرهاق، وأسقطت ذراعيها إلى جانبيها، وقالت بعجز:

ـ لا عجب في حبسك مشاعرك.

فقال بفتور: «أرأيت لماذا لا أخبر الناس؟ انظري كم كدرك هذا».

فهبّت فيه تقول: «هذا ليس سبباً يمنعك من أن تخبرني».

ـ بل هو سبب قوي.

ـ أنت تحبها.

ـ آه! هل لك أن تدعي هذا الكلام يا لورين؟ حباً لله.

أدركت أنها لن تحصل على شيء آخر منه بشأن «كيلي». فقالت متكلفة التحكم في نفسها:

ـ والآن، إلى أين نذهب من هنا؟.

حدقت إليه. إنه يحب «كيلي»، و «كيلي» ماتت. فقالت له بلهجة تقرير واقع أكثر منه سؤالاً:

ـ لكنك لا تحبني.

فقال: «أريد أن أمحو أي ضرر ألحقته بك... خصوصاً الآن بعد أن عرفت الظروف».

قرارها سيغيّر حياتها بأجمعها. كانت تدرك هذا تماماً. إنه سيغير حياتها إما نحو الأفضل وإما نحو الأسوأ.

فقالت: «أنا... عليّ أن أولي بعض الاهتمام لهذه الحفلة فأضع بعض الطعام، وأضع شيئاً من القهوة».

ـ ما هو جوابك إذن؟.

كان قد رفع يديه عن كتفيها وكأنما يترفع عن استعمال لمسه لها سلاحاً يجعلها تمتثل إلى رغبته... كان يمنحها الفرصة، كما قالت تشارلي، لكي تخلص نفسها من تأثير ساندرو نهائياً.

قالت: «نعم».

ـ ماذا قلت؟.

رفعت صوتها في نفس الوقت الذي أقفل فيه شخص ما صوت الموسيقى، وقالت: «نعم. نعم. نعم».

تجاوبت كلماتها فيما حولها واستدارت إليها الرؤوس، وسرى الضحك بين الحاضرين، ولوّح الرجل الذي يلف نفسه بمئزر قرمزي، وهو يجيب صائحاً: «لقد انتظرت طوال المساء لأسمعك تقولين هذا، يا عزيزتي».

بينما بدا الإجرام على وجه ريس، وابتلعت لورين حافزاً لإطلاق ضحكات هيستيرية. ثم، إذا بصديقها «دايلي»، وهو رسام، يمسك بخصرها، ربما لأن الشفقة أدركته عليها، وقال:

ـ أنا أعرف أنك تريدين أن ترقصي معي.

ثم دار بها في باحة الرقص.

ـ ولكن ليس هناك موسيقى لنرقص.

ـ سنخترع موسيقانا. من هو ذلك السيد الغاضب الذي يرتدي تلك البذلة الرسمية؟.

ـ لا يمكنني أن أشرح شيئاً الآن. هل جربت الحب قط يا «دايلي»؟.

ـ عشرات المرات. المشكلة هي أنني أنام مع الواحدة ثم أنتقل إلى الأخرى.

فقالت: «كل الرجال متشابهون».

فقال: «بعضنا أسوأ من البعض الآخر، كان ساندرو رجلاً تافهاً عديم الأخلاق مئة بالمئة، يا لورين، وأرجو منك ألا تصنفيني معه من نفس الفئة».

وقالت: «أنت تتحدث عن الشهوة وليس عن الحب».

ـ نعم، لا أدري من هو ذلك الرجل في البذلة الرسمية لكنه يبدو غاية في الاختلاف عن ساندرو. أنا مسرور لقولك له نعم، يا لورين... وبالمناسبة، لماذا نعم هذه؟.

ـ هذا ليس من شأنك. أتظن أنني إذا أحضرت إناء كبيراً فيه قهوة، فسيفهم الضيوف الإشارة ويرحلون؟.

ضحك وقال: «يمكنك أن تجربي. أتريدين مساعدة في ترحيلهم؟».

فقالت باسمة: «شكراً. أنت صديق وفيّ».

فقال بمرح: «حان الوقت لتخرجي من صندوق الثلج ذاك الذي تعيشين فيه. فلنحاول أن نتحرك ناحية المطبخ..».

على مدى الساعة التالية انشغلت لورين بتقديم الأطعمة الخفيفة والقهوة، وكانت شاكرة لريس لأنه بقي بعيداً عنها. رغم أنها كانت تراه على الدوام ينظر إليها بحدة بعثت قشعريرة في ظهرها.

بدأت الحفلة تنفضّ حوالى الثانية صباحاً. وفي الثالثة أغلقت لورين الباب خلفهم ووضعت المزلاج والسلسلة. هل كانت تمنع صاحب الإزار من الدخول أم تمنع نفسها من الخروج؟.

أخذت تتساءل بجنون، ثم قالت بصوت بدا طبيعياً تقريباً: «يا للفوضى هنا! لكن الضيوف استمتعوا بوقتهم. أليس كذلك؟».

فقال ريس بجفاء: «ما عدانا، نحن الإثنين».

كان قد أسكت الموسيقى، فساد المكان الصمت والفراغ. قالت وهي تشعر بحيرة رهيبة:

ـ تمنيت لو يبقوا طوال الليل.

ـ ماذا تريدين أن تفعلي الآن يا لورين؟

ـ علينا أن ننظف...

ـ سأساعدك على ذلك.

كانت ملامحه صلبة وهو يقول بخشونة: «أنت خائفة من الزواج. أليس

كذلك؟».

قالت بشيء من الأمل: «أتريد أن تتراجع؟».

ـ لا. لا أريد هذا، أنا واثق من أن نعم لن تصبح لا. عليك أن تستعدي لأننا سنتزوج قريباً... والآن لن أبقى! سأتركك لتفكري.

***

www.elromancia.com

٨ ـ عروس من حرير

وقفت لورين أمام المرآة، تتأمل قوامها. . ولكن عينيها كانتا في مكان آخر. . في مكان يشوبه الخوف والترقب. . لقد أقدمت على هذه الخطوة، وتزوجت بريس. . إنها الآن لورين كالاهان زوجة ريس كالاهان، الرجل الذي كان غريباً عنها منذ أسبوع فإذا هو اليوم زوجها. . .

ـ ثقي بي.

هذا ما طلبه منها ولكن المسألة أنها لا تثق بنفسها فماذا تفعل؟ هل كانت متهورة عندما وافقت على هذا الزواج وهل كان هو متهوراً عندما سألها ذلك. . لقد تم كلّ شيء على عجل. السراء والضراء عماد كل زواج. . فما عماد زواجها هذا؟.

قالت بكآبة مفاجئة: «ماذا لو كان كلام ساندرو صحيحاً؟ ماذا سيكون حالنا؟».

كان ريس واقفاً وراءها يتأملها فرأى على ملامحها هذا النزاع الأسود الدائر في نفسها.

فقال: «ثقي بي يا لورين. . إن كل ما هو مطلوب منك هو أن تثقي بي».

قالت محاولة أن تبعث في صوتها حيويتها المعتادة: «هذا شيء من كثير».

فضحك قائلاً: «هذا مؤكد».

التفتت تقول: «أنا بحاجة إلى دوش. لن. . .».

فقاطعها: «دعينا نأخذ الدوش معاً».

فقالت بذعر: «لا. لا، لن أتأخر».

واندفعت تدخل الحمام وتقفل الباب خلفها، هذا ممنوع. . . أخذت تفكر في ذلك وهي تنظر إلى نفسها في المرآة. بدت مرتاعة خائفة حتى الموت، كانت في مأزق.

ثقي بي. . . ثقي بي وبنفسك. . . هذا ما قاله لها، وهذا بالضبط ما لم تكن تفعله. إنها لم تمنح نفسها فرصة. تنفست بعمق، ورفعت رأسها ثم حدقت في أعماق عينيها. . إنها ستثق بريس قدر إمكانها، لأنها تثق بأنه يهتم لها من كل قلبه. وعليها ذلك بعدما أصبح زوجها. . .

ولكن لم يكن لديها فكرة عن سبب إقدامه على الزواج بها.

أليحصل منها على ما يشبع رغباته؟ كانت تدرك بالغريزة أن هناك أكثر من ذلك؟ أم ليستعيد مشاعره التي دفنت مع أخته الميتة؟ ربما هذا أقرب إلى الحقيقة. ربما ريس يريد أن يشفي نفسه. وربما بإمكانها أن تساعده في ذلك.

شجعها ذلك، بشكل ما، فخلعت ملابسها وأخذت دوش. كان قميص نومها معلقاً على الباب، وكان قطنياً طويلاً منقوشاً بشكل جميل. لبسته، ومشطت شعرها ثم فتحت الباب.

كان ريس جالساً على السرير يخلع جوربيه، وكان قميصه موضوعاً على مسند كرسي، فبدا ناصعاً بجانب الجدار الداكن اللون. . ابتسم لها وقال: «سآخذ أنا أيضاً دوش».

أغلق الباب خلفه، فبدت وكأن شجاعتها الجديدة قد فارقتها. جلست على الجانب الآخر من السرير مشبكة يديها في حجرها، متسائلة عما كان والاس سيقوله لو رآها الآن.

بعد ذلك حدث كل شيء بسرعة. . . خرج ريس من الحمام وقد لف منشفة حول وسطه. وبصوت مختنق، قالت: «أطفىء النور. . . من فضلك».

عندما فعل ذلك، تسرّب ضوء المدينة الباهت إلى السرير من كوة في السقف. وجلس ريس بجانبها وأخذ يديها بيديه.

عليها أن تكمل هذا حتى النهاية. عليها ذلك.

* * *

كانت أصابع لورين ببرودة الثلج، أخذ ريس يفكر بأن عليه هو أن يدفئهما، يدفىء أصابعها وقلبها أيضاً.. عليه أن يصلح الدمار الذي ألحقه بها ساندرو الوغد، ويحرر تلك المرأة المحمومة العواطف الكامنة وراء هاتين العينين المذعورتين.

يحررها... وماذا بعد ذلك؟.

واحدة واحدة، يا ريس... حدث نفسه بذلك وهو يرفع يدها إلى فمه، يطبع قبلات صغيرة على أصابعها وظهر يدها، ثم يقلبها ليدفن وجهه في راحتها، كان معصماها متصلبين كلوح من الخشب، وتنفسها السريع السطحي يطعن قلبه.

لم تتجاوب معه إلى حد جعله يتساءل عما إذا كانت ثقته في غير محلها، هل الدمار تعمق فيها إلى هذا الحد؟ أم الأمر كله، إنه ليس الرجل المناسب لها؟.

لا... الأمران جعلاه يشعر بشعور مؤلم بالفراغ، لم يشأ أن يحلله.

بسيطرة فائقة على مشاعره، أخذ يعانقها بشغف أكبر... فقال:

ـ لورين، يا جميلتي الرائعة لورين... ما أسعدني بوجودي معك!.

وبهزة من الدهشة أدرك أن كلماته هي الحقيقة... إنه يريد جسدها، لا ريب في هذا، ولكن الأكثر من ذلك أنه يريد حضورها معه.

وعاد إليها يضمها ويحتضنها وعندما صدر من حلقها صوت عميق ضئيل، زاد من احتضانه إيّاها.. كان يهدىء نفسه قائلاً: على مهل، يا ريس... هذا لأجل لورين، وليس لأجلك.

ثم ارتفعت يداها وتشابكتا حول عنقه:

ـ ريس... أنا...

فقاطعها: «أخبريني بما تريدين، يا حبيبتي. وسأفعل لأجلك كل ما أستطيعه».

دفنت وجهها في كتفه لحظة قصيرة، فانسدل شعرها الحلو الرائحة على صدره، ثم نظرت إليه مباشرة، وقالت: «أنا لا أعلم ما أريد...».

أخذ قلبه يدق كالمطرقة، فانحنى ليعانقها مرة أخرى، مطلقاً هذه المرة شيئاً من مشاعره، وبعد تردد قصير للغاية، شعر بها تبادله عناقه، وتفتح له مشاعرها. وتساءل إن كان قلبه سينفجر في صدره. ولكنه جاهد للسيطرة على نفسه. يجب ألا يتعجّلها.

همست: «أريدك... نعم، أنا أريدك...».

كان ينظر إليها بهيام كبير وشعر وكأنه لم يكن قطّ مع امرأة من قبل.

دار رأس ريس وهو يرى شيئاً جديداً عليه... إنه عمق في المشاعر لم يعرفه من قبل، واتحاد بين زوجين، اتحاد يختلف عن كل خبرة له سابقة.

* * *

فتحت عينيها الفيروزيتين اللامعتين، ثم ابتسمت له وهي تهمس:

ـ لم أكن أعلم أبداً...

ثم، فجأة، احتضنته وأخذت تبكي وقد دفنت وجهها في عنقه.

احتضنها بشدة، وهو يشعر بشهقاتها تهز جسدها.

ـ هل استعجلت؟ أنا لم...

نظرت إليه وما زال صدرها يعلو ويهبط:

ـ كنت رائعاً...

أخذ يضحك وهو يحتضنها ويتشمم عطر الليل في شعرها، مدركاً أنه لم يشعر قط من قبل بمثل ما يشعر به الآن نحو لورين من حميمية. وقال:

ـ لا مزيد من الاعتذارات. أظننا، نحن الإثنين، كنا ممتازين، ما رأيك؟.

وعندما احمر وجهها بشكل فاتن، مدّ ذراعه يحتضنها. كانت الآن في نفس المكان الذي تمنى أن تكون فيه منذ دخلت إلى مكتبه أول مرة في ڤانكوڤر معها. مكتشفاً مواطن ضعفها وشجاعتها التي تفوق الوصف، مكتشفاً ضحكها ومشاعرها المحمومة التي انطلقت أخيراً، تلك المشاعر المحمومة التي بدأ لتوهما في اكتشافها. دسّ يده في شعرها الناعم، جاذباً وجهها إليه وقال: «أنت مُنى قلبي».

قالها بخشونة، فسمع صدى كلماته هذه في ذهنه. لم يكن يحبها بالطبع. إنه يرغب فيها فقط وهذا كل شيء.. يرغب فيها ويريدها أكثر مما رغب أو أراد امرأة أو شيئاً في حياته.

رنين التليفون الثاقب أيقظ لورين من نومها العميق. واهتزت وهي تدرك أن ثمة رجلاً ممدداً بجانبها، وذراعه الثقيلة حول خصرها. إنه ريس زوجها... فاكتشفت في نفسها امرأة لم تعرفها من قبل.

انقلبت على جنبها تتناول التليفون وتتمتم:

ـ هالو!

ولكن لا جواب وظل جرس التليفون يتابع رنينه.

انتصب ريس جالساً بجانبها: «إنه تليفوني الخليوي. أين وضعت سترتي؟».

ونزل من السرير إلى حيث سترته فأخرج التليفون من الجيب ثم أجاب:

ـ هالو.

بقي عدة دقائق صامتاً يستمع. كان جسده قوي العضل، رائعاً. لكنها لن تنحت له تمثالاً.. ليس الآن، لن يكون ذلك إلا بعد أن يصبح جزءاً منها بحيث لا تحتاج إلى أن يقف أمامها لكي تخطط معالم بنيته.

لفّتها البرودة وهي تسمعه يقول: «جيري، لا أصدق أن هذا حدث. كنت أظن أن ذلك مستحيل. لا بأس، سأحضر في أسرع وقت ممكن.

لكنني لن أستطيع الوصول قبل وقت العصر... على الأقل هناك الطائرة في مطار «كيندي» وبهذا لن تكون هناك إعاقة، هل ستلاقيني في مطار «هيثرو»؟ عظيم، سأستدعي الطيار إلى اللقاء».

ودون أن ينظر إلى لورين، طلب رقماً آخر بسرعة:

ـ راندولف؟ أنا بحاجة إلى السيارة الليموزين خلال ربع ساعة... مطار كينيدي، نعم عليك أن تستدعي «توم» وتنبه طاقم الطيران إلى أننا سنسافر إلى لندن في أقرب وقت ممكن، شكراً.

ثم أعاد التليفون إلى جيبه والتفت إلى لورين: «لا بد أنك سمعت ذلك. عليّ أن أذهب إلى لندن حالاً، معاملة ضخمة يمكن أن تنهار إذا لم أذهب إلى هناك وأوقف التلف... إنه أمر أمضينا في العمل لتحقيقه أربعة أشهر، وأنا الوحيد الذي بإمكانه مواجهة ذلك».

تلاشت ابتسامتها، وشعرت بالبرد، فسحبت ملاءة السرير تغطي نفسها، ثم قالت بصوت جاحد: «سر في طريقك».

فانفجر يقول: «لم أتوقع هذا قط. كنت أظن أننا، أنا وجيري، قد سددنا كل الثغرات، لكنني كنت مخطئاً. أنا لست ذاهباً إلى لندن لأنني أريد ذلك، وإنما لأنني مضطر إلى ذلك، وأنت تعلمين ذلك حتماً».

فقالت بأدب: «طبعاً».

أوقفها على قدميها وأمسك بكتفيها.

قال: «لورين، كانت الليلة الماضية.. لا أستطيع أن أصف لك مبلغ روعتها. أصغي إليّ، هذا العمل لن يستغرق أسبوعاً على الأكثر، ثم أعود إليك مباشرة».

ـ الأفضل أن ترتدي ملابسك الآن. سيكون سائقك هنا بعد دقائق.

ـ لم تصغي إليّ! أنا أعلم أن هذا التوقيت شنيع للغاية، لكنه ليس نهاية العالم. سأعود.. هل تسمعينني؟.

فقالت: «ستعود لأنني أصبحت زوجتك... ولكن هل أنا أريد ذلك حقاً؟».

فقال غاضباً:

ـ آه، بل تريدينني.

وجذبها إليه وعانقها بجوع محموم جعل جسدها يتألم حباً وذلك رغم استيائها العنيف من رحيله بمثل هذه السرعة. فلم يمض ساعات على زواجهما... ولكن لماذا تستغرب؟ فهو لم يتزوج قط، ولا بد أنه خبير في تخليص نفسه من فراش النساء عندما يشاء.

جذبت رأسها وهي تقول:

ـ لا، يا ريس. لست مضطراً إلى التحايل أو الكذب. أنا واثقة من أنني لا أعني لك شيئاً.. الليلة الماضية... كنت في نشوة بالغة. والآن أنت راحل، قاطعاً أربعة آلاف ميل. كيف المفروض أن أتصرف؟ أن ألوّح لك بالمنديل من النافذة مودعة وأذرف عدة دمعات للزينة؟.

بددت ابتسامته الملتوية بعض التوتر في ملامحه. وقال: «لا أستطيع أن أصدّق هذه الصورة... الأكثر احتمالاً هو أن تضربيني على جبهتي بمطرقة الحداد. ألا ترين يا لورين، أن هذا يعود إلى الثقة؟ ما كنت لأترك زوجتي بهذه السرعة إلا لأمر هام مستعجل وحقيقي. عليك أن تصدقيني لأن هذا صحيح».

أخذت تعبث بملاءة السرير بأصابعها، وتمتمت: «أظنني سأسمح لك بالدخول... إذا رجعت».

فقال مازحاً: «لقد أصبحت زوجتي وعليك الترحيب بي بذراعين مفتوحتين.. سأتصل بك خلال يومين وأخبرك عن سير الأمور. والآن، الأفضل أن آخذ دوش وأخرج».

وكانت تنسق بعض الأزهار عندما هبط ريس السلم بسرعة وهو يزرر أكمام قميصه في طريقه ويقول: «يجب أن تعذريني. هذه الأزهار جميلة. أخبريني عن نوع الأزهار التي تحبينها».

فقالت: «أزهار الليلك الحمراء ذات الشذا الرائع».

ـ راندولف في الخارج. علي أن أذهب. انظري إلي يا لورين.

رفعت بصرها إلى وجهه مكرهة. كان شعره ما يزال رطباً، وعيناه عميقتي الزرقة، فقال بقوة:

ـ عندما قلت كم كانت الليلة الماضية رائعة، كنت أقول الصدق تماماً. كنت رائعة، ملتهبة العواطف إلى حد حبس أنفاسي. لو كان العالم مثالياً، لبقيت معك ولكن أعدك أن يكون لنا شهر عسل لا يقاطعنا فيه أحد.

ثقي بي... هذا ما كان يقوله.

قالت: «كان ذلك رائعاً بالنسبة لي أنا أيضاً، يا ريس».

ووقفت على أصابع قدميها تقبله، وهي تقول بصوت مرتجف: «مع السلامة».

أمسك بذقنها وعانقها طويلاً. وعندما تركها كانت وجنتاها بحمرة كنزتها.

ـ سأتحدث إليك قريباً.

وفتح الباب وخرج.

وقفت لورين جامدة تماماً. لماذا لم تعانقه؟ لماذا لم تخبره بأنه كان رائعاً للغاية الليلة الماضية؟ وأنها لم تعد خائفة. لقد فات الوقت الآن، فقد رحل. لكنه سيعود قريباً...

أخذت تفكر في ذلك متشجعة، ثم أخرجت من الخزانة فنجان قهوة.

***

مرّ اليوم الذي رحل فيه ريس، بسرعة لا بأس بها، لأن لورين كانت مشغولة بالتعرف إلى منزلها الجديد والقيام ببعض التغييرات فيه. وذهبت إلى الفراش مرهقة للغاية، واثقة من أنها ستنام، ولكن ما إن مس رأسها الوسادة حتى تملكها الألم وهي تشم رائحة ريس. وهذا غريب فطوال عمرها وهي تنام وحدها في السرير، ما عدا الليلة الماضية، لكن الليلة الماضية قد غيرت كل شيء.

حاولت أن تتذكر أسماء بعض من تريد أن تدعوهم إلى بيتها الجديد. حدقت في الغيوم البادية من كوة السقف. كانت تشعر وكأن ريس يتدفق في

عروقها. خلال عدة ساعات سرق ريس منها السلام والأمن اللذين تعبت في الحصول عليهما. ما الذي جعلها تقبل الزواج برجل يملك امبراطورية أعمال اكتسحت الكرة الأرضية، وقلباً محصناً ضد الضعف والحب؟ ربما كان ريس يشتهيها، لكنه لن يقع في غرامها. كان عليها أن تطرده في اللحظة التي دخل فيها بابها.

وأخيراً، استغرقت في النوم. وفي اليوم التالي ركزت اهتمامها على مسائل العمل. وعندما ذهبت إلى سريرها في الحادية عشرة، استغرقت في النوم على الفور. ثم استيقظت في الثالثة صباحاً مشتاقة إلى أن يكون ريس بجانبها.

المفروض أن يتصل بها اليوم. من يدري، ربما سيدخل إلى منزله بل إلى منزلهما مع حلول الظلام. ومرت ساعات النهار، وشعرت بوجع في الظهر. وفي الخامسة من عصر ذلك اليوم كانت تعاني من ذعر حقيقي لأنها لم تستطع أن تركز أفكارها على عملها الذي كان دوماً ملجأها...

ثم تصاعد رنين التليفون ثلاث مرات متتالية: سام يهنئها على زواجها فقد كان حاضراً معهما عند الزواج... ذو الإزار القرمزي يدعوها إلى حيث يقيمان مخيماً.. شركة أبحاث تدعوها إلى الإجابة عن بعض الأسئلة. رفضتهم جميعاً بدرجات مختلفة من التهذيب وقد تعاقب عليها الغضب واليأس وهي ترى سكينتها النفسية تعتمد على اتصال تليفوني.

في السابعة وعشر دقائق، بعد أن تملكها اليأس، سمعت رنين جرس التليفون يتصاعد. رفعت السماعة وقالت لاهثة: «هالو؟».

فجاءها صوته: «لورين. أهذا أنت؟».

فهتفت: «ريس... أين أنت؟».

ـ في مطار هيثرو مرة أخرى.

وعندما قفز قلبها فرحاً لأنه عائد إلى نيويورك، تابع يقول: «هل سمعت الأخبار هذه الليلة؟».

ولم تكن قد سمعت شيئاً إذ كانت مشغولة بتشنج عضلاتها وثقل

أصابعها.

ـ لماذا؟ ماذا حدث؟.

ـ عليّ أن أذهب إلى الأكوادور. ثلاثة من موظفي شركتي أخذوا رهائن الليلة الماضية. لقد استأجرت مفاوضين ليتعاملوا مع الخاطفين بشأن الفدية، ولكن عليّ أن أكون موجوداً هناك أيضاً. أولاً لمساندة الرجال الثلاثة المحتجزين، معنوياً، وثانياً لكي أشارك بدوري في المفاوضات.

كان صوته جامداً حازماً. فسألته: «سيطول ذلك؟».

وكانت تحاول أن تظهر سيطرة على نفسها، فأجاب:

ـ ليس لدي فكرة، فمثل هذه الأمور تنتهي أحياناً على الفور، وأحياناً تستمر أسابيع. كنت أريد أن أتصل بك قبل الآن، لكننا، أنا وجيري، نعمل على مدار الساعة لإنجاز ذلك العمل الذي قارب على النهاية الآن. آسف يا لورين. أنا أعلم أن هذا ليس ما تعهدت به، لكنني لا أستطيع أن أحتمل العيش إذا لم أذهب إلى هناك وأرى ما يجري بنفسي.

ـ هل ستنتبه على نفسك يا ريس؟.

قال بفروغ صبر: «طبعاً سأفعل».

كان رجلاً بالغ الثراء. وسيكون مرشحاً بالغ الأهمية للخطف هو نفسه. وهبط قلبها في صدرها، وقالت ضارعة: «أرجوك، اهتمّ بنفسك؟».

قال بعد صمت قصير: «هل تهتمين أنت حقاً؟».

هذه المرة هي التي صمتت، ثم قالت:

ـ أنا... طبعاً، أنا أهتم بما يحدث لك. فأنا لا أريد أن يسقط أحد بين أيدي الخاطفين.

فقال بشيء من البرودة: «فهمت. لا يمكنني أن أعدك كم من المرات أستطيع أن أتصل بك، لأنني لا أعرف كيف سيكون الوضع هناك، لكنني سأعود حالما أستطيع ذلك».

ـ لا بأس ومن أنا لأعترض...

ثم استدركت فقالت بحدة: «آسفة».

اشتدت أصابعها حول السماعة، وتملكها الذعر: «ريس، أنا آسفة. ظهري يؤلمني. فمنذ رحيلك لم أعرف الراحة أو الاستقرار. والواقع أنني لا أكاد أنام. لا أريد منك تذهب إلى الأكوادور وأنت تظنني غاضبة منك».

فقال بصوت عميق: «قد يهمك أن تعلمي أنني أنا أيضاً لا أنام فكل ما أفكر فيه هو نعومة بشرتك، جمالك، وتجاوبك معي... سأعود حالما أتمكن من ذلك. أقسم».

ـ أنا بغاية الشوق لرؤيتك.

وكانت هذه هي الحقيقة. رغم أن الكلمات لم تكن كافية لوصف عاصفة المشاعر التي يموج بها صدرها.

ـ علي أن أذهب. الطائرة بانتظاري. انتبهي إلى نفسك. وإذا لم أستطع الاتصال بك شخصياً، فسأدع شخصاً في مكتبي في لندن يبقى على اتصال بك.

همست: «شكراً... إلى اللقاء».

انقطع الاتصال. ووضعت لورين السماعة ببطء، ثم نظرت حولها في أنحاء الاستديو وكأنها لم تره قط من قبل. رجل ذو عينين زرقاوين ثاقبتين فصلها عن حياة كانت قد ثابرت على بنائها في السنوات الماضية... وها هو الآن المستقبل أمامها غائم مشكوك فيه لا يمثل لها ملجأ أميناً.

العمل... حدثت نفسها بأنها ستعمل حتى تقع أرضاً وستنام بقية الوقت. ومن يدري؟ فقد يعود ريس بعد بضعة أيام.

مرت الأيام واستحالت أسابيع وتشرين الثاني أصبح كانون الأول. وكان كل ثلاثة أيام يتصل بلورين من لندن رجل اسمه «روس»، ليخبرها عن المفاوضات. في البداية عن عدم تقدم المفاوضات بسبب طلبات المختطفين الفاحشة. وفيما بعد، عن التنازلات التي كانت تجري بين الفريقين خطوة خطوة. وقد طمأن لورين بأن هذا أمر طبيعي وأن ليس عليها أن تقلق.

وريس نفسه اتصل بها أربع مرات. لكن الاتصال التليفوني كان رديئاً جداً، ومع ذلك كان في صوته التعب والإحباط والقلق العميق على سلامة موظفيه.

لم تشعر لورين بمثل هذا العجز قط في حياتها. عجز ووحدة فظيعة. ونتيجة لذلك ألقت بنفسها في العمل.. كانت تبقى مستيقظة، حتى منتصف الليل لمدة أسبوعين مرهقين حتى أنتجت تمثالاً ضخماً من الفولاذ والخشب فاق كل أعمالها السابقة، وتركها مرهقة للغاية.

بجانب حديثها مع تشارلي كل أسبوع، الشيء الآخر الذي كانت تقوم به هو رؤية سام مرات كثيرة. كان مشتركاً بمشروع في نيويورك، فكان أكثر من مجرد سعيد ليمرّ عليها ليشرب فنجان قهوة أو يذهب معها للسينما. وأثناء تناولهما وجبة في مطعم صغير في «قرية غرينوتشي» ابتدأ يتحدث عن «كيلي»، راسماً لها صورة امرأة شابة ذكية مفعمة بالحيوية وأخبرها أن كيلي كانت تحب أخاها ريس كثيراً وأن موتها حطم ريس.. بعد موت «كيلي»، أصبح كلوح من الثلج. وبدا الشرود على وجه سام:

ـ جزء مني سيبقى دوماً يحب «كيلي»، وأنا أعلم في أعماقي أننا كنا سنصبح سعيدين معاً. لكنها ميتة يا لورين ولن تعود... والآن، تعرفت إلى امرأة أخرى، في بوسطن.

سألته: «امرأة مناسبة؟».

أجاب ضاحكاً: «متألقة ورائعة وتلعب التنس».

ثم بان عليه الجد: «لم أجرؤ أن أخبر ريس. أخاف أن يظنني تركت «كيلي»، لأنني لن أتركها أبداً من ناحية المشاعر. لكن الحياة تسير، وأنا أريد زوجة وأولاداً وبيتاً في الضواحي، وكل الأشياء المعتادة في حياة رجل من سني».

ـ عليك أن تخبره عندما يعود.

ـ ومن يعلم متى سيكون ذلك؟.

صرخت: «لا بد أن ذلك أصبح قريباً».

ـ هل وقعت في حبه؟ ألهذا قبلت الزواج به؟.

فقالت:

ـ أنا معجبة به ولقد تزوجته ولكنني لن أدع نفسي أقع في الحب، لأنك على صواب. فقد وضع ريس قلبه في ثلاجة عميقة، ويلزمه لإخراجه منها من هي أهم مني، فلماذا أكون من الغباء بحيث أقع في حبه؟.

ـ أنتما الاثنين غافلان.

ـ أنت مخلوق شاعري، يا سام.

ـ أظنك على حق. هل أخبرك ريس يوماً عن منزله الريفي في «بروڤانس»؟.

استعدت لورين للاستماع. إنها تعشق سماع قصص عن ريس، عن ريس الذي كان أصغر وأسعد، كل هذا كان يزيدها معرفة برجل معقد كان شغوفاً بأسرته، وهو الآن تسكنه عفاريت هي مستعدة لأي شيء لكي تخرجها منه.

وفي اليوم التالي، ذهبت إلى المكتبة العامة، حيث قرأت الصحيفة التي كتبت عن مقتل «كيلي» على رصيف في شيكاغو ذات يوم صيفي حار. وكانت هناك صور، وكلها تنبض بالحياة، فانطبعت في ذهن لورين صورة لريس جعلتها تجفل. كان يبدو فيها محطماً منهكاً للغاية، ووحيداً تماماً رغم وجوده بين الناس.

كانت نفسيتها متعبة فتركت المكتبة وعادت إلى البيت. بقيت عشرة أيام تعمل، دون وعي، في نحت تمثالين صغيرين من البرونز. إنه تمثال العذراء والمصلوب معكوسة. لأن الرجل هنا كان يحمل جسد المرأة وليس العكس. وضعت في البريد شيكاً بنفس ثمن بيتها وأرسلته إلى منظمة في شيكاغو ترعى أطفال الشوارع. وعندما يرجع ريس ستخبره بما فعلت.

ولكن كانت هناك أوقات، خصوصاً في منتصف الليل، كانت تستيقظ فيها على سرير لا يشاركها فيه أحد فكانت تشعر بأنه قد لا يعود... فهو محاط بالخطر ومن يضمن أن يعود سليماً معافى؟. وبدت حول عينيها هالة

داكنة.. أما المنحوتة التالية التي باشرت فيها، فحملتها إلى بقع أكثر ظلمة في عقلها غير الواعي.

أخبرتها تشارلي بأن تلقي بمفتاح الاستديو في نهر الهدسن، وألقى عليها سام محاضرة عن الڤيتامينات وأخذ إجازة. حتى أن ذا الإزار القرمزي، عندما قابلته مرة في الشارع مرتدياً بنطلون جينز، نصحها بأن تقطع تذكرة سفر إلى الشاطىء في «باجا».

لم تستطع ذلك. كان عليها أن تلازم البيت لكي تتلقى أخبار ريس التي كانت كل ما يربطها به. ثم، ذات يوم في منتصف كانون أول، رن جرس التليفون. كانت تتوقع اتصالاً من وكيلها وردت تقول باختصار: «لورين كورتني كالاهاي».

جاءها صوته: «لقد عدت إلى لندن».

كانت ستعرف ذلك الصوت في أي مكان. وجلست على أقرب كرسي، وقالت متلعثمة:

ـ ريس؟ أنت عدت؟ أنت بخير؟.

فأجاب: «أنت بخير؟».

ازدردت ريقها: «أنا لا... لا أبكي أبداً..».

ومسحت دموعها التي كانت تنهمر على خديها.

ـ ظننتك ستكونين سعيدة.

ـ وأنا كذلك.. آه، أنا كذلك.

ـ وصلنا منذ ساعتين.. كانت أسر الرجال الثلاثة الذين أطلق سراحهم جميعاً في المطار... الرجال بحاجة إلى الفحص، جسدياً ونفسياً... لكنني أظنهم سيكونون بحالة حسنة بعد أن عادوا إلى بيوتهم.

أعطاها بعض التفاصيل التي لم تتذكر فيما بعد أياً منها لأنها كانت مشغولة جداً في محاولة الخروج من تلك الدوامة الهائلة من المشاعر. ريس بأمان. إنه في لندن.. آمن.

وأخيراً قال: «أما زلت عند التليفون؟».

وكادت ترى ابتسامته الملتوية، فقالت: «نعم».

ـ أراك هادئة بشكل فظيع.

لم تعرف ماذا تقول له بينما تابع هو: «لديّ أشياء كثيرة عليّ أن أقوم بها هنا. أتساءل عما إذا كنت تقبلين بالحضور إلى هنا لقضاء فترة عيد الميلاد؟ سنمضيه في «ساري». لديّ بيت هناك أظنك ستحبينه. وسنبقى فيه تعويضاً عن شهر عسل لم يتم.

ـ هذا حسن جداً. ولكن هناك شرط واحد يا ريس.

فقال بحذر: «نعم؟».

فقالت:

ـ سنقدم إلى بعضنا البعض هدية واحدة فقط. تكلف تحت الخمسة والعشرين دولاراً ولتكن من صنع اليد.

أخذ يضحك: «هذا مناسب جداً لك. أما بالنسبة لي فليس مناسباً أبداً لأنني جاهل كبير في هذا المجال».

ـ ليس المفروض أن تكون الهدية جميلة مزخرفة تسر الناظرين.

ـ هل هذا نوع من الاختبار؟.

ـ أحياناً يسهّل المال الأمور.

ـ أنت تختلفين عن كل من عرفت.

وتردد لحظة: «كيف حالك، يا لورين؟».

لم يقل هذا من باب المجاملة وإنما كان يريد أن يعلم حقاً.

فقالت متوخية الدقة: «متعبة، مضطربة. وسعيدة جداً لسلامتك».

ثم أضافت بخجل: «اشتقت إليك كثيراً».

ـ لا أستطيع أن أخبرك كم أنا بشوق إلى أن آخذك بين ذراعي.

شعرت وكأن كيانها يلتهب. وقالت: «سنمضي عيداً سعيداً جداً».

ـ أنت على حق يا لورين. سأذهب الآن لأن عليّ أن أهتم بتصريف مليون أمر. سأتصل بك لأخبرك بكل الترتيبات. اهتمي بنفسك.

ـ وأنت أيضاً. إلى اللقاء يا ريس.

وعندما وضعت السماعة، أدارت الراديو على الموسيقى وأخذت ترقص بسعادة في أرض الاستديو، متصورة أن ريس معها يعانقها تماماً.

العيد مع ريس. أية نعمة تريد أكثر من هذا؟.

في الثالث والعشرين كان ريس في المطار مبكراً نصف ساعة، لم يسبق قط أن ذهب إلى موعد مبكراً، فقد كان وقته أثمن من ذلك، فلماذا يقف الآن بين حشد المستقبلين ينظر إلى ساعته التي كانت بطيئة إلى حد التعذيب؟ هذه ليست عادته، كما كانت لورين ستقول. لورين... هل سيستعيدان تلك المشاعر المحمومة التي تبادلاها؟ أم أن ذلك كان تقارباً يحدث مرة في الحياة، مقدراً عليه ألا يتكرر؟ ولماذا يهتم كثيراً بجواب سؤاله هذا؟.

لقد أصبحت زوجته ولكن ما الذي تعنيه بالنسبة إليه، هذه المرأة ذات الشعر النحاسي، والجسد الذي ذهب بعقله؟ وكان متلهفاً إلى ضمها واحتضانها.

لم يسمح لنفسه بأن يشعر بالبعد عن الآخرين كما فعل في الخمسة أعوام الماضية. إنه لم يسمح لامرأة قط بأن تثير مشاعره إلى هذا الحد. لم يكن يريد ذلك. وهذا لم يكن بسبب شقيقته «كيلي»، بل بسبب رغبته في إنماء ثروته.

أخرج مجلة مالية وحاول أن يركز ذهنه عليها، وإذا به يرى امرأة طويلة ذات عينين فيروزيتين تقف عند الحاجز مترددة. رفع باقة أزهار الليلك التي كانت بيده ملوحاً بها فوق رأسه، ثم رأى وجهها ينفجر بالضحك وراحت تشق طريقها بين الجموع متجهة نحوه. كانت ترتدي «كاب» أخضر اللون. وعندما وصلت إليه، قال:

ـ هذه الأزهار ليست هدية العيد لك. إنها هدية الترحيب بزوجتي التي اشتقت إليها.

فقالت وعيناها تتراقصان:

ـ من أين حصلت على أزهار ليلك في هذا الوقت من السنة؟.

ـ لم يكن الأمر سهلاً.... مرحباً يا لورين.

احمر وجهها، وبدا عليها التردد. بدت سعيدة خجلى في نفس الوقت.

مال إلى الأمام وعانقها. وعندما خفق قلبه بشدة تمتم: «هل لديك فكرة عن مقدار شوقي إليك؟».

ـ لا أظن أن هذا المكان مناسب لي لمعرفة ذلك.

ـ ربما معك حق. تعالي لنبحث عن أمتعتك.

تأبط ذراعها وشبك أصابعه بأصابعها، وقد تملكته الدهشة لمبلغ سعادته بها. نفس الشعور الذي شعر به مرة وهو صبي عندما استيقظ صباح العيد فوجد بابا نويل قد أحضر له اليخت الذي كان متشوقاً للحصول عليه.

وقال لها: «فكرت في أن آخذك إلى فندق في المدينة أولاً ثم نذهب إلى «ساري» فيما بعد».

ازداد احمرار وجهها: «ولماذا لا؟».

ـ أظنني أفضل أن نستقر في الريف.

ـ وأنا نفس الشيء. أنا شغوفة «بمانهاتن»، لكن الحقول والأشجار تبدو لي حسنة جداً حالياً.

أخذ يتأمل وجهها، فبدا له مألوفاً ومتغيراً في نفس الوقت، فقال ببطء: «أنت متعبة».

ـ أتعني أن كل مساحيق الزينة الغالية الثمن، التي بدأت بوضعها منذ يومين لم تؤثر في البتة؟.

ـ لماذا أنت متعبة، يا لورين؟.

فترددت: «أولاً وجدت الوقت الذي أمضيته في الاكوادور من الطول بحيث اندفعت إلى العمل كالمجنونة طوال الوقت، ليلاً ونهاراً، فأنهيت خلال هذه الفترة ثلاث قطع ربما هي أفضل ما صنعته في حياتي. وكيلة أعمالي توسلت إليّ قبل مجيئي قائلة إن لديها شارين مستعدين حالياً لشرائها... لكنني لم أستطع أن أبيعها فلست مستعدة لذلك الآن».

وكالعادة، وجد ريس نفسه يبتهج بشكل غريب لصدقها هذا، فيما بعد، عندما يصبحان بمفردهما، سيسألها عن تلك القطع الثلاث بالتفصيل. وكان يعلم أنه يريد أن يراها... واندفع يقول: «أنا لم أشترِ حقاً

القطعتين من معرضك للاستثمار بل اشتريتهما لأني رأيت فيهما شيئاً ما... لا أستطيع شرحه، ولكن نموذجيك جعلاني أشعر وكأنك كنت تعرفينني، تعرفين شيئاً غاية في الأهمية عني... ولكنني لم أكن لأخبرك بكل هذا في أول يوم تقابلنا فيه».

اصطدم بها شخص ما، يدفعها إلى صدر ريس. وعندما طوقتها ذراعاه بشكل آلي، قالت برقة: «شكراً لأنك أخبرتني الآن».

شعوره بها بين ذراعيه كاد يخرجه عن عقله. فقال: «فلنخرج من هنا. أريد أن نكون وحدنا».

فسألته:

ـ هل أنت مسرور حقاً برؤيتي؟.

أدهشه سؤالها فأجاب: «طبعاً، أليس هذا واضحاً؟».

ـ بالنسبة إليك لا آخذ أي شيء على أنه أمر مسلم به.

ـ أماهذا، يا عزيزتي، فيمكنك أخذه على أنه أمر مسلم به.

ورأى ابتسامتها تتألق في عينيها. وعندما استلما أمتعتها، وخرجا من المدينة ثم اتجها إلى أملاكه الريفية، وجد ريس الكثير ليقوله... وصف لها الأسابيع الفظيعة التي أمضاها في الاكوادور، وحدثته عن مسرحية كانت شاهدتها. وتحدثا عن أفلام وكتب. وكالعادة، كان يستغرب نظرتها المتفردة غالباً إلى الأشياء والتعبير الذي كان يبدو على ملامحها.

وصلا أخيراً إلى ضيعته. وكان الغروب قد حلّ عندما لاح أمامهما منزل فخم ورأى عيني لورين تتسعان، فقال بلهجة غريبة: «يمكننا أن نبقى في المنزل الكبير، إذا شئت. لكنني ظننت أنك قد تفضلين الكوخ الملحق به، فهو أكثر راحة».

استدار إلى طريق جانبي تتدلى فوقه أغصان شجر الزان والدردار العارية. كان الكوخ مبنياً من الحجر. وبجانب الباب المصنوع من خشب السنديان كان إكليل من الأزهار معلقاً. وتنفست لورين الصعداء وهي تقول «أحب هذا أكثر».

ـ هذا ما ظننته. البيت الكبير جيد للتأثير في زائرين معينين، ولكن ليس لمن يعيشون فيه يومياً. مديرة المنزل هيزل قالت إنها ستترك لنا العشاء جاهزاً. لا بد أنك جائعة... سأحضر حقيبتك إذا أخذت مني هذه الأزهار.

كان يتحدث كثيراً. ألأنه يشعر بالإثارة كصبي في يوم العيد؟ أم لأنه يريدها كثيراً أن تحب هذا المنزل الذي يفضله على كل أملاكه؟ فتح الباب فامتزجت رائحة الصنوبر، بشذا العطر الرقيق الذي تضعه لورين.

كان ممر الردهة مزيناً بالأغصان الخضراء وبخشب السنديان المصقول. سار ريس أمامها إلى غرفة الجلوس، حيث كانت النار مشتعلة في المدفأة. وفي الزاوية كانت تقوم شجرة عيد الميلاد، وبجانبها صندوق من الكرتون... وقال:

ـ أرجو أن تساعديني غداً على تزيين الشجرة، هذا هو السبب في أنني طلبت من هيزل تركها.

شبكت يديها بسرور كطفلة، وقالت: «أحب هذا كثيراً. يا لها من غرفة جميلة يا ريس!».

وكان هو يحب رفوفها المزدحمة بالكتب، وأثاثها المغطى القديم الطراز. فقال:

ـ النوافذ تطل على الحديقة. دعيني آخذ منك الكاب وأعلقه في الطابق الأعلى. والأفضل أن أضع أزهار الليلك هذه في الماء.

قالت فجأة: «يبدو لي أنك متوتر الأعصاب».

اقتربت جداً من الحقيقة. وقال: «وسأضع على النار بعض الحساء أيضاً، فالوقت بالنسبة إليك هو العاشرة والنصف ليلاً فأنت قادمة من نيويورك».

رفعت ذقنها تقول: «لا أريد حساء. دعنا نضع الليلك في الماء ثم نخلد إلى النوم».

رغم حديثها الشجاع، كانت أصابعها تشتد متوترة على أغصان الأزهار

الخشبية إلى درجة ابيضت معها سلاميات أصابعها. وإذ فاضت في كيانه مشاعر لم يستطع أن يسميها... مشاعر جديدة عليه تماماً، قال بصوت أبح: «أنت امرأة رائعة الجمال بكل معنى الكلمة. وأنا أوافقك على أن السرير هو المكان الذي ينبغي لنا أن نكون فيه. هات، أعطيني هذه الأزهار».

لكنها تمسكت بها قائلة: «سآتي معك».

وفي المطبخ وضع ريس الأزهار في دلو فضي وأضاف الماء، ثم وضعها على المنضدة، فقالت لورين بعناد: «أريدها في غرفة النوم، إنها هدية حلوة جداً».

وهكذا حمل الدلو وصعد به السلم إلى غرفة النوم التي كانت تطل على الحديقة هي أيضاً وعلى أشجار السنديان الرائعة.

كانت المدفأة الفيكتورية الطراز ذات حاجز معدني جميل. أما السرير فكاد يحتل مساحة الغرفة.

وضع الأزهار في الزاوية. ثم سألها: «أتريدين أن أشعل المدفأة».

ـ نعم من فضلك... أريد أيضاً أن أستحم فالسفر دوماً يشعرني بالقذارة.

قال وهو يركع ليشعل المدفأة: «الحمام من خلال ذاك الباب».

عندما انتهى من إشعال المدفأة وإضاءة بعض الشموع، سمع صوت المياه تتدفق في الحمام. علق معطفه وسترته وهو يفكر في أن لورين هنا معه. سيكون هذا الأسبوع شهر عسلهما المصغر لأنه ينوي أن يفرّغ وقته ليسافرا معاً بعيداً عن العمل وعن كل شيء آخر.

بعدما خرجت من الحمام جلست على السرير. وعندئذ أمسك بوجهها بين راحتيه ثم أخذ يعانقها بكل اللهفة والجوع اللذين تكوّنا طوال الأسابيع التي فرقتهما. وعندما بادلته عناقه باستسلام، أخذ نبضه يتسارع، ثم قال وهو يمسك بمعصميها ويجذبها لتقف: «لورين، لورين... لكم اشتقت إليك».

هل شعر قط بمثل هذه الحيوية والثقة بأنه حيث يريد أن يكون بالضبط؟

رفعت لورين وجهها إلى وجهه. كان وجهاً قد أعماه الجوع. فضمها إليه معانقاً تجرفهما مشاعر إلى أرض لا قرار لها...

بعد فترة كان يدفن وجهه في شعرها، مغمضاً عينيه وكانت ذراعاها تطوقانه. وقال بصوت أبح: «عيداً سعيداً يا لورين».

ـ هل هذه هي هديتي؟.

ـ لا. لن تحصلي على الهدية قبل الخامس والعشرين.

أخذت تتمطى مسرورة وعيناها كبركتين من الضوء.

فقال وهو يخط على شفتيها بإصبعه: «انتظري عشر دقائق».

ـ عشر دقائق مدة طويلة.

ـ يمكننا أن نبتكر شيئاً جديداً.

ومال نحوها يعانقها.

وقالت متنهدة: «أواه، يا ريس كم أنا سعيدة معك!».

وكانت تبدو سعيدة، ومن روعة الجمال بحيث وجد صعوبة في القول:

ـ وأنا سعيد لوجودي معك أيضاً.

رأى أن ما قاله كان كافياً فأخذ يعانقها متمهلاً وهو يتحرى تفاصيل وجهها وانسياب عنقها وكان يترك لها دوماً وقتاً تتجاوب فيه.

كان يضمها إليه بشدة شاعراً بأنه لا يريد أن يتركها أبداً لأنه لا يمكن أن يشبع منها أبداً. وكيف يستطيع ذلك؟ إنها تكمله كما لم يكتمل من قبل قط.

هل هو الحب؟. وكيف يعرف ذلك؟ منذ بلغ الرشد، لم يعرف الحب قط. وإذ أدرك أنه لا يريد أن يتابع هذه الأفكار، تمتم يقول: «في نيويورك، الوقت الآن تجاوز وقت نومك بكثير».

ـ حتى هنا في «ساري». ريس، كيف يمكنني أن أشكرك؟ أترى ماذا فعلت؟ لقد شفيتني. جعلتني معافاة. أنا أرغب فيك إلى أقصى حد. أشعر معك بالحرية الكاملة...

اندفعت عاطفة في صدره بعنف كشيء كان متربصاً به. كان لديها دائماً

هذه البراعة في اختراق دفاعاته التي تبدو هباء منثوراً. فقال بصوت أجش: «إنه سروري أنا».

علم أنه، بشكل ما، كان يتجنبها:

ـ ربما علينا أن نحاول أن ننام. لديك شجرة عليك أن تزينيها غداً.

ـ هل سيكون لدينا ديك حبش يوم العيد؟.

ـ إنه في الثلاجة، وقد تركت هيزل عشر صفحات على الأقل من الإرشادات.

فتمتمت تقول: «أنا أطهي ديكاً متوسطاً. تصبح على خير يا ريس».

كانت نظراتها صريحة صادقة. فكر في أنها لم تقل شيئاً عن الحب. لقد حرّر جسدها، لكن روحها ما زالت منغلقة على الآخرين ترفض المشاركة بها. ولكن أليس هذا ما يريده هو؟. قال:

ـ سأطفىء الشموع.

ثم نزل من السرير. وأخذت بقع الضوء الناعمة تتلاشى واحدة بعد أخرى حتى لم يبق سوى وهج الجمر في المدفأة. ثم، في ظلمة الليل الريفية الناعمة، صعد ريس إلى السرير حيث اضطجع بجانب لورين ثم طوقها بذراعيه واستغرق في النوم.

صباح يوم العيد، استيقظت لورين متأخرة. بقيت لحظات مستلقية، مصغية إلى حركات ريس وهو يتحرك في أنحاء الطابق الأسفل. كان زوجاً رائعاً... فهو سخي متحمس حساس. ألا يكفي هذا؟ طبعاً يكفي. ليس هناك سبب أبداً يجعلها تشعر بهذا القلق، وعدم الراحة.

صعد ريس السلم، وكانت الدرجة الرابعة دوماً تصدر صريراً، ثم دخل مرتدياً بنطلون جينز ولا شيء سواه، وكان حاملاً صينية. وقال بعينين ضاحكتين: «الفطور».

كان هناك فنجانا قهوة متوجين بالقشدة والفريز والدراق. وكذلك كرواسان ساخن من الفرن.

فقالت: «هيه... يا للرجل الذي يمكنه أن يطبخ! يجب أن أتمسك

بك».

انتصبت في جلستها وأخذت تسوّي الوسائد.

ـ أخرجت الكرواسون من الثلاجة ووضعته في الفرن. ليس في ذلك أي علم صاروخي.

أخذا يأكلان معاً على مهل. ثم ارتدت لورين تنورة صوفية وقميصاً حريرياً تبني اللون، ثم نزلا إلى المطبخ ليضعا الديك في الفرن، وبعد ذلك أنار ريس الأضواء في الشجرة في غرفة الجلوس، وأشعل نار المدفأة، ثم أدار بعض الموسيقى. . . بعد ذلك سلمها لفافة مسطحة وقال:

ـ عيداً سعيداً يا لورين.

وكانت هي قد وضعت هديتها له على منضدة القهوة. فتحت العلبة لتجد صورة مؤطرة بالخشب لشاطىء صخري تحف به أرزات جميلة، وامرأة تقف بجانب كومة من أخشاب حائلة اللون، خلفها المد والجزر وقد بدت شاردة في تأملاتها.

فقالت: «ولكن هذه أنا».

ـ لقد التقطها لك بعد أن تركتك هناك عندما كنا نتنزه في زورق الكياك بجانب نادي اليخوت. هل تذكرين؟.

ـ إنها صورة جميلة. هل الإطار من صنع البيت؟.

ـ لقد تعلمت أشغال الخشب في المدرسة. وهذا الإطار صنعته من قطعة من خشب السنديان. فكرت في أنه قد يعجبك.

فقالت وهي تقبله: «أحببته جداً. شكراً لأنك لم تشتر لي شيئاً غالي الثمن. كان ذلك سيبدو، بشكل ما، غير ملائم».

ثم أضافت بلهفة: «يجب أن تفتح هديتي، وستعلم لماذا».

كانت هديتها موضوعة في صندوق وكانت ملفوفة بالورق بعناية. أخرجها من الصندوق وأزال الورق فظهر تمثال صغير. قطعة من الخشب المتخلف عن المد والجزر بشكل موجة بحر خرج منها ثلاثة حيتان مفترسة. حدق فيها لحظة طويلة ثم قال بصوت أجش: «كانت أفكارنا متشابهة».

ـ لم أكن أريد أن أهديك تمثالاً. فقد بدا ذلك أشبه بالخداع. ولكن، بشكل ما، أدركت أن هذا يخصك أنت.

غامت الحيتان في نظره لحظة، وتمتم يقول:

ـ هل صفحت عني على طريقتي في معاملتك في الفترة الأولى من تعارفنا؟.

فقالت: «طبعاً صفحت».

ـ ليت بإمكاني أن أصفح عن نفسي بهذه السهولة. أعني بالنسبة إلى «كيلي».

ـ أواه، يا ريس.

وطوقته بذراعيها ثم تابعت تقول:

ـ لقد ذهبت إلى المكتبة وقرأت عن الحادث في الصحيفة، لقد كانت مأساة رهيبة حقاً. لكن الخطأ لم يكن خطأك. فقد كان ممكناً أن تموت أنت أو أي شخص آخر بالسهولة ذاتها. .

تنهد طويلاً، ثم قال: «الحق معك، أنا أعرف هذا أو على الأقل عقلي يعرف. ولكن لو لم أتركها وحدها على الرصيف. . ».

وبوحي مفاجىء، قالت:

ـ هذا هو السبب الذي جعلك تذهب إلى الاكوادور، أليس كذلك؟ لتكون أقرب ما يمكنك من الرجال المخطوفين لأنك تشعر بالمسؤولية تجاههم. لكي تحاول أن تكفّر عن ذنبك تجاه «كيلي».

ـ أظنك على صواب. لم أفكر في الأمر على هذا النحو. نعم، شعرت بالمسؤولية تجاههم.

فقالت وهي تهتز: «أنت رجل ممتاز يا ريس».

ولأول مرة ترى أنها أخرسته بقولها هذا. ليتها قادرة على أن تشفيه كما شفاها! لكن جرحه أعمق. . . أعمق وأكثر دواماً.

قال بخشونة: «سأعتز بهديتك على الدوام، يا لورين. إنها رائعة الجمال».

فقالت تداعبه: «كنا على نفس طول الموجة، أو بالأحرى على نفس الشاطىء».

أرادت بهذه الدعابة أن تخفف من توتر ملامحه. فوقف وقال:

ـ ما رأيك بالسمك السلمون المدخن؟.

ـ فقط إذا خرجنا نتمشى قبل العشاء.

ـ سأجرك إلى أعلى التلة، ثم أنزل بك إلى الوادي.

إذن، يجب تجنب الحديث عن «كيلي».

ـ رأيت بعض جبن «الروكفور» الرائع في باب الثلاجة. ذلك النوع الذي يتخلله الاخضرار.

فضحك: «سآكل بعضاً منه».

في الأيام الثلاثة التالية قضياها معاً بالنزهات والضحك وغسل صحون والتحادث والمرح... ذهبا مرتين يجولان في المنزل الكبير، حيث أعجبت لورين جداً بمجموعة ريس الفنية وحيث قابلت مديرة المنزل «هيزل» التي أدخلت التسلية إلى نفسها بنظراتها المتفحصة، والتي، كما أدركت فيما بعد، فازت بصداقتها.

لم تتذكر لورين أنها كانت يوماً ما خالية البال وسعيدة ومكرّمة كما هي الآن. وكانت مسرورة بحياتها معه وهذا ما كان شعوره هو أيضاً، فقد بدا أصغر سناً ومرحاً خالي الوفاض بشكل مسّ فؤادها.

هذا ما كان عليه حاله إلا في بعض المرات التي كانت تفاجئه فيها وهو يحدق إليها بوجه جامد وعينين مغلقتين بطريقة تتذكرها جيداً ولم تحبها قط... في المرة القادمة التي ستراه فيها يفعل ذلك، يجب أن تسأله عما يفكر فيه، حتى لو جاء جوابه على عكس ما تتوقع، لكنها فكرت بثقة في أنه لا يمكن أن يكون في ذلك أي شيء جاد.

لا شيء يمكن أن يحطم هذه السعادة الرائعة التي تحتويها، ليلاً ونهاراً.

***

٩ ـ سجين الماضي

بعد العيد بثلاثة أيام، حبس المطر المتواصل ريس ولورين في البيت أمام النار. كانت لورين تقرأ رواية اختارتها عن الرف، بينما كان ريس يحاول أن يتدارك ما فاته قراءته في الصحف التي تكدست منذ وصوله. قلب الصفحة المالية وهو يقول بكسل:

ـ هل استثمرت المال الناتج عن بيع بيتك في «مين» يا لورين؟ هناك بعض العروض الجيدة.

ترددت قليلاً ثم قالت بصوت هادىء:

ـ لقد أرسلت المبلغ كله إلى منظمة في شيكاغو ترعى أطفال الشوارع.

أزاح الصحيفة جانباً وقد بدا عدم الرضا في عينيه.

ـ فعلت ماذا؟.

ـ لقد سمعتني. قمت بتحريات كثيرة في البداية، واخترت أحسن المنظمات سمعة.

ـ هذا يعني أنك لم تقبلي هذا المال مني، أليس كذلك؟.

ـ أنت...

ورن جرس التليفون في الردهة فوق فقال: «سأجيب عن المخابرة».

نظرت إليه وهو يبتعد، شاعرة بالحزن. لم يحصل بينهما أي خصام منذ وصولهما، وفي الواقع، كانا منسجمين تماماً ما جعلها تتخلى عن كل حذر. ما كان بإمكانها أن تحتفظ بمال والاس. لا، إنها لا تستطيع.

وعاد ريس وما زال وجهه مكفهراً وقال: «المخابرة لك، من وكيلتك».

ـ بيث؟ أنا لم أعطها رقم التليفون، فكيف اقتفت أثري؟.

واندفعت إلى التليفون: «هالو؟».

فجاءها الصوت:

ـ هالو، لورين. الحمد لله أنني وجدتك. أخذت رقم تليفونك من مالك بيتك. اسمعي المشرف على متحف الفنون، «ماكسويل غالواي» مهتم جداً بآخر تمثال صنعته. ذلك الذي أنهيته قبل رحيلك مباشرة. ولسوء الحظ سيغادر إلى اليابان بعد غد. هل يمكنك الحضور إلى الوطن في الحال؟.

دار رأس لورين. وأخذت تحدق في خشب الأرضية المصقول. هذه فرصة يمكن أن تنطلق بمهنتها كالصاروخ، إنه لشرف كبير أن توضع قطعة من صنعها في المتحف. ولكن كيف يمكنها ترك زوجها؟ ترك ريس.

وهتف الصوت في التليفون: «لورين، هل أنت موجودة».

ـ نعم. لقد فاجأتني. هذا كل شيء.

فقالت الوكيلة: «إنها فرصة العمر. لست بحاجة إلى أن أقول لك ذلك. أنا واثقة من أن بإمكانك القدوم بالطائرة الليلة أو صباح غد. أعرف أنك عروس حديثة العهد بالزواج ولكن هذا مستقبلك المهني».

قالت لورين لها: «هل يمكنني أن أتصل بك بعد نصف ساعة؟».

فقالت بيث: «لا أراك تفكرين في رفض هذا الأمر؟ يمكن «لماكسويل غالواي» أن يصنع أو يحطم مهنتك».

شعرت لورين بغضب مفاجيء، فقالت: ««بيث»، أنا هنا مع زوجي وعلينا أن نضع هذا في الاعتبار. كما ليس لدي فكرة عما إذا كان بإمكاني العثور على مقعد في طائرة فالوقت الآن وقت أعياد. سأعود للاتصال بك».

فقالت «بيث»: «هذا حسن».

ولكن صوتها لم ينبيء بأن هذا حسن أبداً.

ـ أنت تعرفين رقم تليفوني.

وضعت لورين السماعة ثم وقفت جامدة في مكانها، الحق مع «بيث» لا يمكنها، هي لورين، أن ترفض هذا. فليس لديها خيار آخر. عليها أن تعود إلى نيويورك.. ربما بإمكان ريس أن يذهب معها. وأسرعت إلى غرفة الجلوس وشرحت لريس الأمر بسرعة، ثم قالت:

ـ عليّ أن أذهب. ماكسويل غالواي هو أحد أكبر الأسماء في مانهاتن. وسأكون مجنونة إذا أغفلت هذه الفرصة. ولكنني لا أظن.

فقاطعها: «أنت إذن تريدين مني أن أساعدك على السفر؟».

بدا ريس عدائياً بشكل واضح. فقالت لورين بقوة:

ـ آخر ما أريد أن أفعله هو أن أتركك. ولكن ألا ترى أنني مضطرة إلى السفر؟.

ـ ما أراه هو أن لفنك الأولوية.

اندفعت تقول منفعلة:

ـ أنت تتركني وتذهب إلى الأكوادور ولكن لا يحق لي أن أتركك لأذهب إلى نيويورك؟.

ـ الأكوادور كانت قضية استثنائية. أما أنت فبإمكانك دوماً أن تكوني فنانة يا لورين وسأكون دوماً في المركز الثاني بالنسبة إلى ذلك، أليس كذلك؟.

فكررت متشككة: «المركز الثاني؟ دوماً؟».

قال متجاهلاً سؤالها: «لا أحب أن أكون الثاني في الدرجة».

ـ ولماذا المفروض أن أختار؟ أنا امرأة ونحّاتة في نفس الوقت لذا لا يمكن أن آخذ ناحية وأترك الأخرى، فهما تأتيان معاً.

ـ سأتصل وأحجز لك مقعداً في طائرة.

فقالت وقد طرحت فكرة دعوته للذهاب: «أفهم من كلامك أن بإمكان الرجل أن تكون له علاقة بامرأة ومهنة في نفس الوقت. أما المرأة فلا؟ كنت أظننا، أنا وأنت، قد مررنا بتلك المرحلة».

ـ لا أريد أن تُلقي بي جانباً حالما يشير إليك شخص من عالم الفن.

ـ لكن هذا أمر هام!.

ـ وأنا لا أهمية لي.

فقالت بعنف: «أنت تلوي كل شيء أقوله. وأنا أكره هذا».

وأخذت تنظر إليه وهو يخرج من الغرفة بخطوات واسعة.

استطاعت أن تسمع من الردهة نتفاً من المحادثة كانت تتخللها وقفات طويلة. وبعد ذلك بعشر دقائق عاد ريس إلى غرفة الجلوس:

ـ المقعد الوحيد الذي أمكنني الحصول عليه لك هو غداً الساعة الثامنة والنصف صباحاً. وقد حجزت لنا لهذه الليلة في فندق قريب من المطار. وهذا يعني أن الأفضل لنا أن نتحرك من هنا خلال ساعة.

نظرت حولها إلى الغرفة الآمنة بنارها الدافئة حيث أمضت ساعات سعيدة كثيرة.

قالت: «لا أريد أن أرحل».

ـ أريدك هنا وليس في مانهاتن.

توسلت إليه: «تعال معي إذن».

ـ لا أستطيع إقامة مقاعد إضافية في الطائرات. ولسوء الحظ، الطائرتان اللتان تملكهما شركتي هما خارج البلاد الآن، وذلك ليتمكن موظفيّ من الذهاب في عطلة العيد. وعلى كل حال، لو كان علي السفر إلى أي مكان فسيكون ذلك إلى مصر.

بلغ من مرارة خيبتها أن شعرت بالذعر، الكلمة الوحيدة التي لم يأتيا على ذكرها في الأيام القليلة الماضية كانت كلمة الحب، وهكذا الأفضل ألا تعتمد عليه كلياً. ومع ذلك، ألم تكن أحياناً تتشوّق إلى أن يخبرها بأنه يحبها؟ وهمست: «سأفتقدك».

ـ يمكننا أن نبقى على اتصال تليفونياً. كما أن لدينا هذه الليلة. علينا أن نغادر، يا لورين، لأن المطر ينهمر باستمرار وستكون قيادة السيارة بطيئة داخل المدينة.

فقالت متحدية: «عانقني أولاً».

فقال برقة وهو يتقدم نحوها: «أحقاً تريدين ذلك؟».

كان عناقاً نهماً هو خليط من الغضب والرغبة، عناقاً تركها ترتجف وقد وهنت ركبتاها، فقالت بمرح لإخفاء ذلك: «سأذهب لأحزم أمتعتي، وإلا لن أذهب أبداً..».

أخذ منها ذلك أقل من عشر دقائق. ولفت هدية ريس وحدها لتحملها معها في الطائرة، ثم ألقت نظرة أخيرة شاملة على غرفة النوم التي وجدت فيها مثل تلك السعادة.

هبطت السلم إلى الطابق الأسفل، شاعرة وكأن قلبها قد انشطر إلى نصفين. أخرجت حذاءها و«كابها» من خزانة الردهة. وكان ريس يتحدث إلى مديرة المنزل تليفونياً، يشرح لها تغير خطته. ثم أسرع صاعداً السلم ليعود بعد دقائق مرتدياً بذلة عمل، حاملاً حقيبة ملابس لليلة واحدة.. بدا أشبه بغريب، غريب منيع الجانب.

أخذ معه مظلة سوداء، وهو يسألها: «هل أنت جاهزة؟».

فقالت: «ريس...».

في صوتها شيء جعله يقف. وقال بخشونة: «لا تنظري إليّ بهذا الشكل، يا لورين..».

فقالت: «لن يطول غيابي».

ـ طبعاً.

لم يكن هذا هو الجواب الذي كانت تتمناه. لكنه كل ما ستحصل عليه. فقالت وهي تفتح الباب: «فلنذهب».

استولى المطر المنهمر على كل انتباه ريس وجلست لورين هادئة طوال الطريق إلى الفندق.

أتراها ستصبح جزءاً من مستقبله لفترة طويلة؟ أم أنه سيرميها عندما يتعب منها؟.

هل كانت هذه الأيام القليلة من السعادة مجرد وهم؟ هناك سؤال آخر... سؤال هرب منه عقلها وليس لديها جواب له. هل هي تحبه؟

ربما. . أخذت تفكر في ذلك وهي تنظر إلى يديها المتشابكتين في حجرها. كانت خائفة من أن تجيب.

وجدت في الفندق نوعاً من الترف كانت تقرأ عنه لكنها لم تجربه قط. ودخل ريس إلى الحمام لكي يغتسل قبل العشاء.

أما هي فعلقت بلوزتها الحريرية التبنية اللون، ثم اكتشفت أنها نسيت فرشاة أسنانها في البيت الريفي. تناولت معطفها وحقيبة يدها، وكتبت ورقة لريس، ثم نزلت في المصعد. فقد سبق أن لاحظت وجود مخزن أدوية في آخر الطريق.

شعرت لورين بالسرور لخروجها ولكونها وحدها، ولو لعدة دقائق. أسرعت على الرصيف وهي تحمل مظلة ريس. وكان المطر يقرقع على المظلة كطلقات رصاص.

وجدت مخزن الأدوية خالياً تقريباً واختارت فرشاة أسنان ودفعت ثمنها، ثم دفعت الباب الزجاجي تفتحه. وبسبب استغراقها في أفكارها، لم تلحظ ذلك الشاب الذي تبعها في ذلك الظلام الذي يكتسحه المطر.

هي وريس سيبقيان معاً الليلة. . . كانت تفكر في ذلك مبتسمة. . . سيرأبان هذا الصدع الذي حدث بينهما بشكل مفاجىء غير منتظر. إنها لا تطيق أن ترحل غداً وثمة ظل لشقاق بينهما.

ومن جوف الظلام إذا بضربة على ذراعها شلتها. أطلقت لورين صرخة مجفلة وسقطت حقيبة يدها على الأرض. وعندما أخذت تترنح، تلقت ضربة أخرى احتكت بخدها واستقرت على كتفها، ما جعلها تندفع على الجدار فتخدشه المظلة محدثة صريراً. مضت لحظة لم تشعر فيها بأي ألم، وكأن ذلك حدث لشخص آخر. أخذت تنظر إلى يد نحيلة لشاب قد غطى وجهه ورأسه بما يشبه القلنسوة، واختطف حقيبة يدها وهرب عابراً الطريق ليتوارى بعد ذلك وراء ستار المطر.

لم تستطع ركبتاها أن تحملاها، فتهاوت على الرصيف فامتصت تنورة معطفها الواقي من المطر بركة مياه قذرة. ثم بدأ الألم في ساعدها وأخذ ينتشر

في كتفها، نابضاً بإلحاح جعلها تصرّ على أسنانها. رفعت يدها الأخرى إلى خدها، فتملكها الرعب وهي ترى دماً على أصابعها.

وسمعت صوتاً: «يا آنسة؟ ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟».

كان منقذها رجلاً قوي الجسم يرتدي سترة جلدية قديمة، سترها من المطر، وألقى نظرة سريعة على خدها، ثم قال يطمئنها بخشونة:

ـ لا شيء يستدعي القلق. زميلي سيبقى معك ريثما أستدعي الشرطة. لن يأخذ هذا دقيقة.

وضاع صوتها الضعيف وهي تهتف به بألا يستدعي الشرطة في صوت انهمار المطر. وقال زميله الذي كان من النحول قدر ما كان زميله من الانتفاخ:

ـ فقدت حقيبة يدك؟ هذا يحدث دوماً. احمدي الله لأن ليس لديه مسدس. .

مسدس. . . «كيلي»، وبرعب بالغ حاولت أن تستجمع شتات ذهنها. لا يمكنها أن تعود إلى ريس والدم يسيل على وجهها. يجب أن تمسحه. وعندما حاولت أن تمد يدها إلى جيبها لتخرج منديلاً، جعلها ألم ذراعها تجفل باكية ولم تطعها يدها. فقال الرجل النحيل:

ـ ها قد جاءت الشرطة. لا تحدثي جلبة الآن. إنهم سيهتمون بك.

وفي وهج الأضواء الساطعة، وقفت سيارة الشرطة، وركع بجانبها ضابط انهال عليها بسلسلة من الأسئلة بذلت جهدها في الإجابة عنها. . . وبعد ذلك ساعدها على الوقوف على قدميها. ثم رأت رجلاً. . . رجلاً يرتدي واقياً من المطر. . . رجلاً تعرفه جيداً يدس نفسه بين تلك المجموعة الصغيرة من المتفرجين:

ـ لورين. . . ماذا حدث لك؟ هل أنت بخير؟.

فسأله الشرطي: «أتعرف هذه المرأة الشابة يا سيدي؟».

لكنه كان يحدث لورين: «إنها زوجتي لورين، أجيبيني».

فقالت بضعف: «أنا بخير. لقد. . . لقد تعرضت للسلب. . . هذا

كل شيء».

قال ريس للشرطي بسرعة:

ـ سأستدعي طبيباً إلى الفندق ليفحصها. هل لديك كل المعلومات التي تحتاجها؟.

فقال الشرطي: «أعطني اسم فندقك يا سيدي من فضلك. رغم أن علي أن أخبرك بأنه ليس لدينا حظ كبير في القبض على اللص يا سيدي».

أطلعه ريس على اسمه واسم الفندق، ثم وضع ذراعه حول لورين، قائلاً: «فلنذهب».

قالت للرجلين اللذين أنقذاها:

ـ شكراً لتقديمكما لي يد المساعدة. كانت هذه شهامة بالغة منكما... ريس، عليك أن تقف إلى جانبي الثاني، فهذا يؤلمني.

عندما أخذ ذراعها اليسرى، مالت عليه بثقلها وسارت عائدة إلى الفندق. مرورها بالردهة كان محرجاً لها كثيراً. وبذلت جهدها لكي تتجاهل النظرات الحذرة والتعليقات الهامسة. وأخيراً، وصلا إلى جناح ريس، فأغلق خلفهما الباب واتجه إلى التليفون مباشرة، فقالت بقوة:

ـ لست بحاجة إلى طبيب. أنا بحاجة إلى أن أغسل وجهي ثم أستلقي على السرير مع كيس ثلج.

ـ بل سترين طبيباً.

كبحت جواباً حاداً ثم خلعت معطفها الواقي من المطر. وعندما وضع ريس السماعة، قالت:

ـ فرشاة الأسنان في جيبي. هل يمكنك أن تخرجها؟.

انحنى يلتقط معطفها ويخرج كيس البلاستيك:

ـ كان بمقدور الفندق إعطائك عشر فراشي للأسنان... ألم يخطر هذا ببالك؟.

اذن كان هذا كله ذنبها؟ وأجابت: «لم أفكر في أن أسألهم».

ـ أنت لم تفكري البتة.

ـ إذا كنا سنتشاجر، فلأجلس.

ثم هبطت باحتراس على السرير الواسع وهي تقول:

ـ أنا آسفة جداً لاضطرارك إلى رؤيتي والدم على....

فقاطعها بصوت ببرودة الثلج:

ـ كيف تظنين كان شعوري حين خرجت من الحمام فوجدت ورقتك، ثم لم تعودي؟ الخمس دقائق التي مرت بدت لي كالأبدية. ثم عندما خرجت ورأيت ضوء سيارة الشرطة... شعرت وكأن الأمر انتهى.

شعرت وكأن كتفها تلتهب، وكل ما كانت تريد أن تفعله هو أن تستلقي وتغمض عينيها. لكن كرامتها أبت أن تظهر ضعفاً، فقالت: «حسناً، لم يكن الأمر كذلك».

ـ لا، والشكر لك، لماذا بحق الله لم تنتظريني حتى أخرج من الحمام؟

فقالت بصوت بالغ الارتفاع: «أنا أعرف أن هذا يذكرك «بكيلي» ولهذا أنت غاضب. ولكن امنحني فرصة للراحة يا ريس... أنا لم أتعمد هذا الفعل. لم يكن لديّ فكرة عن احتمال مهاجمتي في شارع في لندن. إن الأمر مجرد حظ سيء. أليس كذلك؟».

فقال بصوت منقطع: «نعم. لقد ذكرني «بكيلي». ذكرني بكل شيء تعلمته ذلك اليوم على رصيف في شيكاغو، وهو ألا أقرّب أحداً مني أبداً بعد ذلك، لأنه إذا ساءت الأمور فالألم هائل. كدت أنسى، ولكن ليس بعد الآن. وعلى كل حال أنت عائدة إلى نيويورك غداً».

إذا كانت كتفها تلتهب، فإن قلبها قد أصبح الآن مغلفاً بالثلج. وقالت: «أنت لا تعني ذلك».

ـ بل أعنيه تماماً.

فقالت وقد انهارت كرامتها:

ـ أتعني أنك تريد أن تتركني؟ هل تريد أن تطلب الطلاق...

ـ نعم هذا ما أريده بالتأكيد. ما كان لي أن أنسى الدروس التي تعلمتها ذلك اليوم... وأنا آسف لهذا. كانت معرفتنا ببعضنا البعض رائعة يا

لورين، لكنها ستنتهي الآن. . . قبل أن يتضرّر أي منا.

سمعا قرعاً على الباب فسار ريس نحوه، ثم أدخل رجلاً رمادي الشعر يرتدي معطفاً واقياً من المطر، وهو يقول باختصار:

ـ الدكتور هاسكنز. عملية سلب؟ من المفزع أن الشوارع لم تعد آمنة. أين ضربك يا «مدام»؟.

عندما فحص كتفها وغسل وجهها، أدركت لورين بصدمة بشعة، أنها كرهت أن يرى ريس أعلى جسمها عارياً، كرهت كشف نفسها أمامه وكرهت ضعفها. لكن هذا الصباح فقط لم تكن تفكر في اعتبارات كهذه.

نصحها الطبيب بالراحة في السرير، وبوضع أكياس ثلج، وتناول مسكنات ضد الألم.

شكرته بأدب، وحال ذهابه، قالت: «سآخذ دوشاً وآوي إلى الفراش».

ـ سأطلب لك عشاء في السرير.

ـ أنا لست جائعة. وسأستقل سيارة أجرة إلى المطار غداً، هل لك أن تأمر بذلك؟.

فقال وهو يصرّ بأسنانه: «سآخذك بنفسي إلى المطار».

ـ لا أريدك أن تفعل ذلك. فقد أوضحت بشكل فظيع أنك تتلهف إلى رحيلي، ولهذا أريد منك أن تأمر لي بعربة.

ـ أنا لا آخذ أوامر من أحد وسأصحبك إلى المطار غداً.

فانفجرت تقول: «أنت تريد كل شيء حسب رغبتك، أليس كذلك؟ يمكنك أن تذهب إلى الأكوادور ومصر، ويمكنك أن تخبرني ماذا عليّ أن أفعل بنقودي، ويمكنك أن تتخلص مني متى وكيف تشاء. هذا حسن. افعل ما تحب. ولكن لا تتوقع أن تسمع عني خبراً بعد الآن. وعندما سترسل أوراق الطلاق لأوقعها فسأوقعها وسيكون ذلك آخر اتصال لنا».

استطاعت، بجهد خارق، أن لا تجفل وهي تقف على قدميها، ثم تسير إلى الحمام في خط مستقيم. لأول مرة منذ أيام كثيرة، أقفلت الباب عليها،

ثم خلعت ثيابها ونظرت إلى نفسها في المرآة. كان الدم قد تجمد تحت ذقنها بينما وجهها كان بشحوب ملاءة السرير.

آخر سرير سيشتركان فيه هي وريس.

كانت كتفها حمراء قاتمة، لكن عينيها بدتا مرضوضتين، ولماذا لا؟ العالم الذي شاركت ريس فيه كان كله عيداً. . . وعالماً مغموراً بالنشوة وموثوقاً به. . . هذا العالم قد تهاوى وانفرط. وفي أعماقها، ألم تكن تؤمن بأن هذه الصلة الحميمة بينها وبين ريس لا يمكن إلا أن تتعمّق وتقوى، مع مرور الأيام والليالي؟. لكنها كانت مخطئة. فقد اعترض على ذهابها إلى نيويورك لأهم عملية بيع في حياتها، ثم قامت حادثة عنف في المطر بالباقي.

حدثت نفسها بأنها ستبكي غداً مساء. ليس الليلة وليس صباح غد في المطار. ولا أمام بيث وماكسويل غالواي.

وربما لن أبكي أبداً، ربما بدلاً من ذلك سأكون شاكرة لنجاتي من رجل محبوس في الماضي.

والتوى فمها. من تراها تخدع؟ ستبكي عندما تصبح وحدها حتى تخرج عيناها من مقلتيها. ولكن لن يعرف هذا أحد، وخصوصاً ريس.

* * *

١٠ ـ لي إلى الأبد

كانت الساعة الخامسة صباحاً. أخذت لورين تضرب وسادتها، ثم جذبت الغطاء فوقها. لديها صداع لأنها، لليلة السابعة تنام باكية، كما أنها تعاني من وجع في القلب. كانت تشعر بالإنهاك، والتلف والحرمان العاطفي.

كيف أمكنها، في هذه المدة القصيرة، أن تعتاد وجود ريس بجانبها، وحفيف تنفسه في العتمة؟ أن تعتاد ضحكته، وذكاءه الحاد وحضور بديهته؟ولكن هذا لا يعني أنه كان يضحك ذلك الصباح الذي وضعها فيه على الطائرة إلى نيويورك. بل كان بعيداً عن ذلك. فقد كان يبدو متلهفاً إلى الخلاص منها.

لم تسمع كلمة منه طوال الأسبوع الماضي. مدهش، مدهش.. كما فكرت ساخرة وهي تدفىء رأسها في الوسادة. لقد انتهى الأمر بالنسبة إليه. وبإمكانها أن تراهن على أنه لم يكن يستلقي مستيقظاً يفكر فيها، وربما تعرّف إلى امرأة أخرى، تكون ترياقاً ضد المشاعر القوية.

التعزية الوحيدة لها هي أنها لم تكن تستطيع أن تفعل أي شيء بشكل مختلف. فقد كانت مع ريس بشخصيتها الحقيقية وهو لم يردها.

دارت بها الأفكار بطريقة ملأتها حزناً لكنها لم تستطع أن تتوقف. وأخيراً، في الخامسة والنصف، نهضت ووضعت إناء القهوة على النار ثم ارتدت بنطلوناً ضيقاً وكنزة. وعندما أخذت تدور حول ركام فضلات

المعادن وقطع الخشب في إحدى زوايا الاستديو، متلهفة إلى متنفّس لمشاعرها، تذكرت فجأة الصلصال الذي اشترته قبل العيد بأسبوع. إن تشكيل الخزف يمنحها متعة.. تناولت ثوباً قطنياً فضفاضاً ارتدته فوق ملابسها للوقاية، ثم جلست إلى المنضدة وبجانبها فنجان القهوة.

بعد ذلك بثلاث ساعات، دفعت لورين كرسيها. كان التمثال النصفي على المنضدة أمامها قد كوّن نفسه بنفسه تقريباً، فهي لم تكد تفعل به شيئاً. كان تمثالاً لريس، تمثالاً مفعماً بكل طاقة ريس وحيويته وحزمه، فقد أظهر وجنتيه البارزتين وخط فكه القوي. وبدت عيناه وكأنهما تنفذان إلى أعماقها، تنقبان عن أكثر اهتماماتها الحميمة. أنا أحبك. أخذت تفكر في ذلك. وبذهول بالغ أخذت تكرر هذا في ذهنها... أنا أحبك... أحب ريس كالاهان. طبعاً كانت تحبه. ولماذا إذن أخذت تبكي بغباء في نفس اليوم الذي عرفت فيه أن ماكسويل غالواي سيشتري أحد أعمالها؟ لو حدث هذا منذ ستة أشهر لتملكها الفرح والانفعال. ولكن ليس الآن. ليس حين لا تستطيع أن تجعل ريس يشاركها هذا الخبر. ليس وهي مبعدة عنه كلّياً، تفتقده بألم.

إنه لا يحبها. فهو لا يسمح لنفسه بذلك، ولكن... فجأة قطبت جبينها، ووجدت نفسها تتساءل لأول مرة عما إذا كان خائفاً من أن يقع في حبها. لماذا إذن أخذ يتشاجر معها عندما أرادت السفر إلى نيويورك؟ ولماذا إذن، أمام أضواء سيارة الشرطة، نظر إليها والكراهية في عينيه؟ وتذكرت فجأة أن يديه لم تكونا ثابتتين. لقد دسهما في جيبيه عندما رآها... نعم لقد لاحظتهما.

أيمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ أترى ريس أبعدها عنه كيلا يقع في حبها؟ أم أنها تبني قصوراً في الهواء لأنها لا تستطيع احتمال الحقيقة القاسية؟.

كان قلبها يخفق في صدرها كعصفور في الفخ. ولم تستطع التنفس بسهولة. هناك طريقة واحدة لكي تعلم الحقيقة: أن تسأله، أو تخبره بأنها

وقعت في حبه، وترى ما سيقول.

أخذت تتمشى في الاستديو رائحة غادية. أفكارها تتسارع ومشاعرها مضطربة. إنها معتوهة للغاية وهي تفكر بهذه الطريقة. ألا يكفي أنها نُبذت.. فكيف تعرّض نفسها للنبذ للمرة الثانية؟.

وبتهور بالغ، رفعت سماعة التليفون وطلبت سام في مكتبه في بوسطن، وقالت دون تمهيد:

ـ سام، أتظن أن من الممكن أن يكون ريس قد وقع في غرامي؟.

فقال سام: «عيد سعيد لك أيضاً. نعم، أظن ذلك».

ـ أتظن ذلك حقاً؟.

ـ من المؤكد أنه لا يشعر نحوك بعدم مبالاة، كنت أتحدث معه منذ يومين، ثم سألته عن حاله... فبدا وكأنني سألته عن ساحرة ماكرة خبيثة. ماذا يحدث بينكما؟.

حدثته بكل شيء باختصار ثم سألته: «أين هو الآن؟».

ـ في انكلترا، إنه مقيم في «ساري» إلى أن يذهب إلى هونغ كونغ بعد أسبوع. لماذا لا تتصلين به تليفونياً وتعلمي إن كان يحبك؟.

فقالت بتوتر: «أريد أن أرى وجهه عندما أسأله».

ـ كان المفروض أن أسافر إلى لندن اليوم حوالى الظهر. لكن الاجتماع هناك تأجل ولم أذهب بعد لألغي التذكرة. يمكنك أن تأخذي مقعدي..

فقالت: «آه، يا إلهي! أكاد أجن لمجرد التفكير في رؤيته مرة أخرى».

ـ نحن نعيش في هذه الحياة مرة واحدة.

إنه يفكر في «كيلي»، مرة أخرى.

وقالت: «لا بأس. سأذهب».

ـ سأسوي الأمر مع شركة السفر. لدي بعض النفوذ هناك ولكن نفوذي بالتأكيد ليس بقدر ما لدى ريس... ستتسلمين التذكرة من الموظف في المطار، اتفقنا؟.

وبسرعة أخذ يعطيها التفاصيل:

ـ أتريدين مني أن أتصل به؟ وأعلمه أنك قادمة؟ يمكنني أن أحاول معه بشيء من المنطق.

ـ لا. لا. أريد أن أفاجئه. بهذه الطريقة قد أعرف حقاً ما يحدث... تمنّ لي حظاً سعيداً يا سام.

ـ أعلميني على الفور بالنتيجة، وإذا كان هناك شيء آخر يمكنني أن أساعدك به فأنا حاضر.

فقالت:

ـ فعلت الكثير الآن.. لك مني جزيل الشكر.. إلى اللقاء.

وضعت لورين السماعة، ثم أخذت تمرّ بإصبعها على عنق التمثال الصلصالي. ما فائدة الصلصال؟ إنها تريد الرجل الحقيقي. الرجل الحقيقي الذي ستكافح لاستعادته. ثم، ألم تبثّ، دون وعي منها، في ملامحه، كل حدة المشاعر التي كانت تبدو عليه حين يكون معها... وكل الحنان الذي وضعت ثقتها فيه؟ واغرورقت عيناها بالدموع. فقد أدركت أنها نحتت وجه رجل تحبه.

ستأخذه معها، ربما سيتمكن من التحدث إلى ريس بطريقة لا تستطيعها هي.

ولكن إذا لم تستطع ذلك، تكون قد حاولت، على الأقل.

بعد ذلك بساعات طويلة، خرجت لورين من تاكسي عند البوابة المؤدية إلى أملاك ريس. كان الوقت بعد الغروب بفترة لا بأس بها، ولم تكد تميّز الأشجار بجانب السماء السوداء.

وقال سائق التاكسي متشككاً:

ـ هل أنت واثقة من أن هذا هو المنزل الذي تريدين النزول فيه، يا آنسة؟.

قالت باسمة وهي تحمل الصندوق الذي يحتوي على التمثال تحت إبطها، ثم تناولت حقيبة رحلة الليلة الواحدة وقالت له: «نعم، سأكون على ما يرام».

رفع يده بالتحية، ثم تابع طريقه. وسارت لورين مجتازة الطريق المؤدي إلى الكوخ. وأخذت عيناها تعتادان على الظلام تدريجياً. في غابة أشجار السنديان الصغيرة هذه، كان الغصن يحتك بالآخر فيتصاعد صرير أشبه بصرخة حيوان يتألم. وصرخت بومة من بعيد، ثم، رأت أضواء الكوخ تتألق خلال الأشجار.

وهذا يعني أن ريس موجود. لكن ارتياحها لذلك كدره شعور بالخوف يماثله قوة. لم يكن لديها فكرة عما ستقوله له، أو هل تدفع إليه الصندوق وترى ما يحدث؟.

تابعت سيرها، وكان الضوء يزداد تألقاً. لم تقف لتفكر، لأنها إذا فعلت ذلك فستستدير وتهرب. صعدت الدرجات وضغطت جرس الباب. فوق دقات قلبها سمعت صوت الجرس يتجاوب في الداخل ثم صوت وقع أقدام وانفتح الباب وقالت هيزل: «هذه أنت سيدتي. يا لها من مفاجأة حلوة!».

ابتلعت لورين خيبة الأمل، وقالت: «هل ريس هنا؟».

قالت المرأة: «ادخلي ادخلي. الجو بارد في الخارج».

ثم أخذت حقيبة لورين من يدها المتراخية:

ـ ما الذي حدث بينكما؟ أنتما شخصان غريبان.. أنت تركت بيتك الجديد حتى قبل أن تستقري فيه وهو... السيد ريس؟ سافر إلى لندن أمس صباحاً. قال إنه سيسافر إلى أميركا.

فكررت لورين وقد أصابها الدوار: «أمس؟».

ـ أعتقد هذا. هناك شيء مستعجل لم يفصح عنه، وهو إلى ذلك لم يقل متى سيعود. هل أنت بخير، يا عزيزتي؟.

وضعت لورين الصندوق على أقرب كرسي. إذن فقد كان ريس في أميركا أمس ولم يتصل بها.

لقد تلقت الجواب الذي قطعت كل هذا الطريق لتعرفه. وعندما احتوتها حرارة الردهة، قالت بغموض: «أنا بخير. شكراً».

سحبت هيزل كرسياً آخر أجلست لورين عليه ثم قالت:

ـ لا تبدين بصحة حسنة. عليك أن تبقي، وسأتصل بمكتب السيد ريس وأعرف منه...

انتبهت لورين من خمولها، ثم قالت: «لا. عليك أن لا تفعلي ذلك».

بدت الحدة في عيني هيزل الذكيتين وقالت:

ـ حسناً، لكنني سأحضر لك شيئاً تأكلينه، وأطمئن عليك قبل أن أعود إلى البيت الكبير. سيأتي توم، زوجي، إلى هنا في الصباح. هل ستكونين مرتاحة هنا وحدك؟.

فقالت: «آه، نعم».

كانت لورين متشوّقة إلى الانفراد بنفسها. ورغم لطف هيزل الصادق نحوها، تنفست الصعداء عندما أصبحت بمفردها في البيت.

متململة مضطربة، أخذت تجول في أنحاء المنزل. تلتقط هذا الشيء، وتضع ذاك، شاعرة بوجود ريس في كل زاوية.. ستترك هذا المنزل في الصباح الباكر، فتعود إلى لندن وتستقل أول طائرة إلى الوطن، وتبذل جهدها لكي تنسى الرجل الذي قلب حياتها رأساً على عقب، فعلمها البهجة والتعاسة البالغة التي تُدعى الحب.

وجدت نفسها تخرج التمثال النصفي من صندوقه ثم تحدق إليه وكأن بإمكانه أن يعطيها جواباً. حملته إلى الطابق الأسفل ووضعته على منضدة القهوة ثم جلست على الأريكة. لقد خدعت نفسها عندما رسمت صورة وجه رجل واقع في الغرام بينما الواقع هو العكس.

أدار رأسها الحزن، فدفنت وجهها في الوسادة... كانت نصف غافية ونصف مستيقظة، فلم تكن قادرة على استجماع طاقتها لتصعد إلى الطابق الأعلى. سمعت الساعة الأثرية تدق عند مرور كل ساعة... عشرة، إحدى عشرة، اثنتا عشرة. وفجأة، قفزت جالسة منتصبة على الأريكة وقلبها يقفز في صدرها. هناك شخص يدير المفتاح في القفل.

انفتح الباب بأقل ما يمكن من الصرير، ثم انغلق، ثم سارت الخطوات

على طول الردهة.

ونادى ريس: «لورين؟ أين أنت؟».

كيف علم أنها هنا؟ قالت متلعثمة: «في غرفة الجلوس».

ثم، وكأن كل ذلك كان يحدث لامرأة أخرى، أخذت تنظر إلى جسده الكبير يملأ مدخل الباب، وعيناه الزرقاوان اللامعتان مستقرتان على وجهها، اختطفت التمثال النصفي، محاولة أن تدسه بين المنضدة والأريكة وقالت بسرعة:

ـ ما كان لي أن آتي. وأنا آسفة. لن أفعل هذا أبداً مرة أخرى، وأنا سأرحل في الصباح الباكر.

ـ ما ذلك الذي تحاولين إخفاءه؟.

بدا ظهوره في منتصف الليل، بهذا الشكل غير المتوقع، وكأنه أطلق عقدة لسانها:

ـ أنا صنعته. جئت إلى هنا أمس لأخبرك بأنني أحبك، ولكن لم يكن ينبغي عليّ ذلك. فقد كنت أنت في الولايات المتحدة أول أمس، ولكنك لم تتصل بي حتى وهكذا جعلت من نفسي امرأة حمقاء للغاية.

ولجأت إلى الغضب من وضع لا تعرف كيف تواجهه، وأنهت كلامها بقولها:

ـ لماذا لا تذهب إلى سريرك وتنسى أنني هنا؟ أنت ماهر في نسياني، وعندما تستيقظ في الصباح فسأكون أنا قد رحلت. وهذه المرة سيكون رحيلي نهائياً.

سار إليها. كان يرتدي بذلة رمادية مع قميص أزرق وربطة عنق حريرية. وبدا مرهقاً، فهتفت تقول: «لا تقترب مني».

ثم شدّدت من احتضانها للتمثال النصفي.

جمد ريس مكانه لحظة، ثم قال: «لكنك قلت إنك تحبينني؟».

دفعت إليه التمثال النصفي، وقالت: «عندما صنعت هذا، وجدت أنني أحبك ولكن لدي هذه العادة الغبية في أن أتصرف قبل أن أفكر. أنا حقاً

غبية. لكنها غلطة لن أعود إليها».

أخذ منها التمثال النصفي ووضعه على المنضدة ثم أخذ ينظر إليه، ثم قال:

ـ متى رأيت وجهي بهذا الشكل؟.

فقالت متحدية: «كلما كنا معاً».

ـ أنت رأيت ما أنا كنت أعمى عنه.

ـ لا أدري ما تعنيه...

ـ سافرت إلى القاهرة حال رحيلك. وطوال إقامتي هناك كنت أفكر فيك. وعندما عدت، لم أستطع احتمال البقاء هنا وحدي. ذهبت إلى لندن... متى كان ذلك..؟ أمس الأول؟ لقد أثّر السفر بالطائرة النفاثة على ذاكرتي حتى لم أعد أذكر في أي يوم من الأسبوع نحن.

تخلل شعره بأصابعه، وعيناه على وجهها:

ـ بقيت في نفس الفندق الذي كنا فيه معاً، وكنت أفكر فيك في كل لحظة من الليل والنهار. ولهذا ذهبت صباح أمس إلى نيويورك. ولم تكوني أنت في الاستديو. ولم يعرف مالك البيت مكانك، ولا جيرانك. وهكذا اتصلت بسام الذي أخبرني بأنك هنا... ثم أخبرني، بقوة، بأن أكون ذكياً.

فقالت بفتور: «أخبرتني هيزل أنك سافرت إلى الولايات المتحدة أول أمس. لهذا كنت مستاءة كثيراً».

ـ عندما رحلت من هنا كنت نصف مجنون. لم أكن أعلم ما سأفعل.

ونظر إلى التمثال النصفي: «الحقيقة كانت تحدق في وجهي، ولكن هل رأيتها؟ لا. كنت مشغولاً جداً في حماية نفسي من الشعور بما يشعر به العالم أجمع... البهجة والألم. السعادة والضعف الذي يأتي نتيجة الحب».

وتردد: «أتعرفين ما الذي صدمني فجأة في الفندق في منتصف الليل؟».

هزت رأسها شاعرة بالحيرة تكاد تخنقها: «ماذا؟».

ـ إن «كيلي» كانت سترفض أن أغلق نفسي عن أن أحبك، كانت امرأة مفعمة بالحياة... ولو بقيت على قيد الحياة لأحبتك كثيراً يا لورين..

أعرف أنها كانت ستفعل.

تمتمت لورين: «أنا أبكي مرة أخرى. يجب أن أتوقف عن ذلك».

ـ كنت أحمق، هذا ما أقوله. فقد تصرفت كأكبر معتوه بالنسبة إلى ذلك الشيك وإلى ماكسويل، لأنني علمت أنني مسترسل ومنجرف في مشاعري نحوك وقد آن الوقت لأستعمل الكابح. وتعرضك للسلب منحني عذراً جيداً جداً. كنت خائفاً من زواجنا ووجدت عذراً أنهي الأمر. ثم أرسلك إلى بيتك، وأعود أنا إلى حياتي الحسنة الآمنة.

إذن فقد كانت على صواب... لقد كان ريس فعلاً خائفاً من الوقوع في حبها. وفي محاولة منها لفهم ما حصل خلال موجة الأمل التي شعرت بها كالشمس المشرقة بعد المطر، قالت:

ـ وهكذا وصلت أنت إلى نيويورك في نفس اليوم الذي غادرتها أنا فيه.

ـ نعم. لو تقابلنا في المطار لكنا وفرنا الكثير من الوقت.

ـ الوقت والمال والفزع. عندما سمعت صوت مفتاحك يدور في القفل، ظننت أنني سأتعرض للسلب مرة أخرى.

فقال دون أن يحاول لمسها: «أنا أحبك يا لورين. هذا ما أحاول أن أقوله».

عضت شفتها ثم قالت: «هل أنا أحلم؟ أرجوك، أخبرني بأنني لن أستيقظ في سرير خالٍ... وقلب خالٍ».

قال بعنف: «أنا آسف لأن عودتي إلى عقلي استغرقت مني كل ذلك الوقت. وآسف لأنني سببت لك الألم مع أنك آخر شخص قد أرغب في إيلامه».

فسألته: «هل تحبني حقاً؟».

بدا على وجهه شيء يشبه الابتسامة وهو يقول: «لورين، أنا حقاً أحبك».

نهضت وألقت نفسها بين ذراعيه، وقالت وهي ترتعش:

ـ أواه، يا ريس. ما أشد ما أحبك! وما أتعس حياتي من دونك!

أمسكني ولا تتركني أبداً.

قال بعنف وهو يحتضنها بشدة: «لن أدعك تذهبين أبداً. أنت كل ما كنت أريده وما سوف أريده على الدوام.. أنت غير أنانية أبداً فقد أتيت تبحثين عني بعد كل ما فعلته بك».

قالت بابتسامة متألقة: «وأنت تستحق ذلك وأنت أيضاً ذهبت تبحث عني».

ـ سندعو إلى منزلنا سام وصديقته الجديدة التي حدثني عنها... أرجوك، ساعديني لأعتاد على حياة زوجية مستقرة.

فقالت: «نعم، آه، نعم».

وكانت تضحك مبتهجة: «بإمكانك الآن أن تضمني».

ـ إذا أنا شئت ذلك.

وأحنى رأسه ليقبلها قبلة العهد والإلتزام المحمومة: «أنا لك، جسداً وروحاً... لقد جعلتني كاملاً مرة أخرى».

فقالت:

ـ أحبك... أحبك كثيراً.

كانت عيناها وهي تقول ذلك، صافيتين كماء المطر، ووجهها يتألق بالسعادة.

فقال وهو يحملها بين ذراعيه: «فلنذهب إلى السرير».

وصعد بها السلم إلى غرفة نومها حيث مددها على السرير الواسع، ثم سلّمها قلبه بطريقة نقلت لورين إلى مكان لم تعرفه من قبل. مكان وصلا إليه بحب حقيقي... مكان هو خارج الوصف بالكلمات.

وعندما استكانت إلى صدره، أخذت تتأمله باسمة:

ـ هل عليك أن تفارقني صباح غد إلى «طنجة» أو «تسمانيا»؟.

ـ لا. وهل عليك أن تكوني على درجات المتحف؟.

وأزاح خصلة من شعرها عن وجهها: «أنا لم أسألك حتى عن ماكسويل غالواي».

ـ لقد اشترى أحد أعمالي، ولم يعد علي أن أكون في أي مكان إلا هنا.

ـ إذن ماكسويل من الذكاء بحيث يلاحظ المواهب الحقيقية حين يراها... تهانيّ.

وعانقها عناقاً طويلاً، ثم عاد يقول:

ـ بما أنه ليس على أي منا أن يذهب إلى أي مكان، فلنمض النهار في السرير، نخطط لحياتنا...

***

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة